

الأصْبَلُ وَالذَّخِيلُ مِنَ التَّفْسِيرِ فِي قِصَّةِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

د. عدنان عبد الكريّم خليفان^(*)

(*) أستاذ مساعد - وزارة الأوقاف - الأردن - المملكة الأردنية الهاشمية.

ملخص البحث:

يتعلق هذا البحث بسيرة نبي من أنبياء الله، ضُرب به المثل في الصبر، وهو أيوب عليه السلام.

وهذا البحث هو اجتهاد وعمل يُقصد به تنقية سيرة ذلك النبي الكريم عليه السلام مما أُلصق بها من قصص إسرائيلية أو روايات وآثار لا تصح سنداً ولا تقبل عقلاً، وتمحيص الصحيح من الدخيل من الروايات الواردة عموماً.

وقد كان منهجي تفسير قصة أيوب عليه السلام من خلال الآيات القرآنية، مستنيراً بكلام أهل التفسير عموماً، وتفسيرها من خلال ما ورد من التفسير بالمأثور، لاسيما الأحاديث النبوية الصحيحة، وما ورد من روايات صحيحة عن الصحابة مع الموازنة والترجيح بين المتعارض منها، وأما ما ورد عن التابعين في شأن أيوب فإنها روايات -إن صحت- تخضع كذلك للقواعد المتعلقة بعصمة الأنبياء، وموافقتها للنقل وللعقل على السواء. ولذا استبعدت الروايات التي نسبت إلى نبي الله أيوب أنه كان مريضاً مرضاً منفراً، والروايات التي ترى أن الشيطان قد تسلط على جسد أيوب -عليه السلام- أو ماله وولده؛ لكونها لبس لها دليل صريح من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة.

هذا، وقد اختتمت البحث بذكر بعض العبر المستفادة من قصته عليه السلام.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، أنزل على عبده كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهدى الله به من الضلالة أعينا عميا، وأذانا صما، وقلوبا غلغا.
والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد، وآله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الدجى، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين.

وبعد..

فإن علوم القرآن هي خير العلوم؛ لأنها متعلقة بأعظم الكتب على الإطلاق وهو القرآن العظيم.

وقد شغل القصص في القرآن الكريم حيزاً كبيراً يقارب ثلثه؛ وهذا يدل على أهمية القصص القرآني؛ ثم إن قصص الأنبياء قد أخذ قدراً وافياً من القصص القرآني؛ لما لها من تأثير توجيهي عظيم لهذه الأمة.

فالله عز وجل أمر نبيه - ﷺ - أن يقتدي في كثير من الأخلاق بإخوانه من الأنبياء والمرسلين قال سبحانه: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ .. ﴾ (الأحقاف: ٣٥)

وقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ۗ ﴾ (يوسف: ١١١)

وقال: ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِهٖءِ فُوَادِكْ ۗ ﴾ (هود: ١٢٠)
وقد أصاب التفسير عموماً والقصص القرآني خصوصاً بعض الدخول لأسباب متعددة؛ منها: وجود الإسرائيليات في تفسير القرآن، والتي قد تخالف في بعض الأحيان عقيدتنا الإسلامية.

سبب اختيار الموضوع والجهود السابقة:

إن قضية البلاء أو قانون البلاء عند الإنسان من الأمور الأساسية التي لا ينفك عنها

إنسان، كما قال سبحانه: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٨٦). وإن البلاء يُظهر المكنون من شر أو خير في خبايا النفوس، قال تعالى: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥) فتبلى أنا بالشر وأنا بالخير؛ لتفجر منك خفاياك من حناياك؛ قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩)

ولقد كانت قصة أيوب عليه السلام من قصص الأنبياء المؤثرة في مسألة الصبر على البلاء، حتى صار النبي أيوب عليه السلام مضربَ المثل في الصبر مع طول البلاء وشدته.

ولكن القصة التي معنا أحاطها طائفة من القصاص والمفسرين بهالة من الخرافات حيناً، والمبالغة حيناً آخر، مما جعل الحق يختلط بالباطل والحقيقة بالأسطورة.

صحيح أن هناك طائفة من المفسرين التزمت بالمنهج الدقيق في عرض الروايات المتعلقة بالقصص القرآني؛ مما جعلها ترفض كثيراً مما ورد في تفسير القصص القرآني عامة وقصة أيوب خاصة، ومن هؤلاء المحققين د. محمد أبو شهبه الذي كتب كتاباً يجلي فيه ويحذر من الإسرائيليات والموضوعات التي ذكرت في بعض التفاسير وسمى كتابه (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير)، إلى غير هذا من الجهود المتعددة في هذا الجانب المهم، ومن ذلك: كتاب (الإسرائيليات في التفسير والحديث) للدكتور محمد حسين الذهبي، وكتاب (الدخيل في التفسير) للدكتور عبد الوهاب فايد، بالإضافة إلى رسالة دكتوراه في الموضوع بعنوان (الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير) للباحث رمزي نعناعة.

كما كان لبعض من تكلم في القصص القرآني إسهامات طيبة ونافعة في هذا المجال مثل (قصص القرآن الكريم) للدكتور فضل حسن عباس - رحمه الله -، والقصص القرآني لـ (محمد أحمد جاد المولى) وآخرين، جزاهم الله جميعاً على جهودهم خيراً.

كما كان لطائفة من المفسرين - قدماء ومحدثين - التزامٌ بالمنهج العلمي^(١)، ذلك

(١) المنهج العلمي والقاعدة المستقرة لدى العلماء في التعامل مع الإسرائيليات تتلخص فيما يلي:

تُقسَّم الإسرائيليات عندنا إلى ثلاثة أقسام:

=

المنهج الذي يجلي الحقيقة وينفي الأباطيل التي أشيعت حول قصص الأنبياء عموماً وأيوب عليه السلام خصوصاً، ومن ذلك: تفسير القاسمي - محاسن التأويل، وتفسير الظلال لسيد قطب.

خطة البحث:

تشتمل الخطة على مقدمة، وتمهيد، ومطلب، وهي:

المطلب الأول: الدخيل الوارد في قصة أيوب عليه السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الضعيف من التفسير الوارد في قصة أيوب عليه السلام

المبحث الثاني: التأويلات البعيدة في قصة أيوب عليه السلام

المبحث الثالث: استخلاص الموضوعات التي أصابها الدخيل في القصة.

المطلب الثاني: الآثار المترتبة عن إذاعة وإشاعة الأخبار الإسرائيلية في تشويه صورة الأنبياء عموماً ونبي الله أيوب على وجه الخصوص.

المطلب الثالث: قصة أيوب عليه السلام من خلال تفسير آيات سورة الأنبياء وسورة (ص).

المطلب الرابع: أحاديث صحيحة وأقوال مأثورة في شأن أيوب عليه السلام.

المطلب الخامس: بعض الفوائد والعبر في قصة أيوب عليه السلام

الخاتمة: وفيها أبين ما استفدته من هذه الدراسة، والتوصيات التي أراها.

والله عز وجل أسأل التوفيق لما يحب ويرضى؛ إنه أكرم مسؤل وخير مأمول.

=القسم الأول: ما كان موافقاً لما عندنا عامة، فهذا يقبل القسم الثاني: ما كان مخالفاً لما عندنا؛ فهذا نضرب به عرض الحائط، ونرده رداً تاماً، ولا يقبل أبداً. القسم الثالث: ما لا يخالف ولا يوافق، إنما هو أعاجيب وقصص وأخبار. بهذا نحدث عن بني إسرائيل، ونذكرها للعبرة بين يدي الناس؛ لقوله ﷺ: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) حديث صحيح، وقوله ﷺ: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) (ومعنى ذلك: ما لم يخالف كتاب ربنا أو سنة نبينا ﷺ، فإن وافق قبلناه، وإن خالف رددناه، وإن لم يكن مخالفاً ولا موافقاً رويناه وسكتنا عنه، كان نحدث أن فيهم قوماً ذهبوا في الدهر، وأنهم هلكوا، أو أن فيهم رجلاً صالحاً تعبد في جزيرة من الجزر، وأن فيهم قوماً استقاموا على منهج الله، وأن فيهم قوماً فسقوا فأهلكهم الله، هذه عبر، فنحدث ولا حرج.. هذا موقفنا من الإسرائيليات.

تمهيد

أولاً: القصص لغة واصطلاحاً:

القصة مأخوذة من القص، وهو تتبع الأثر، قال سبحانه على لسان أم موسى وهي ترشد ابنتها لتتبع أثر موسى ﷺ بعد أن ألقته في اليم: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۗ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (القصص: ١١)، والقصص مصدر القص: قال تعالى: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (الكهف: ٦٤) أي رجعا يقصان الأثر الذي جاء به.

ويطلق القصص على الحوادث والأخبار، وقد اقتضت الحديث: رويته على وجهه، وقد قص عليه الخبر قصصاً، والاسم - أيضاً - القصص بالفتح، والقصص بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب؛ قال ﷺ: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ۗ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ ﴾ (يوسف: ١١١) وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ ﴾ (يوسف: ٣)

وقصص القرآن هو: إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة. (١)

أنواع قصص القرآن:

من خلال التعريف السابق، وباستقراء القصة في القرآن، يمكن تقسيم القصة القرآنية إلى أنواع رئيسية، وهي:

١ - قصص الأنبياء: وقد ذكر الله في القرآن قصص خمسة وعشرين نبياً، تتراوح قصصهم ما بين التفصيل والإجمال؛ فمنهم: من وردت سورة بأكملها في شأنه كقصة يوسف ﷺ، ومنهم: من أشار القرآن إلى ذكره إشارة عابرة، كإلياس

(١) انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح ج ٣: ١٠٥١، حرف القاف و القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن ٣٠٥ - ٣٠٦.

وإدريس واليسع - عليهم الصلاة والسلام -، ومنهم: من ذكرت قصته مرات عديدة، لأهداف متنوعة، وبأساليب مختلفة، ومعظم القصص من هذا القبيل، كما هو بالنسبة لنوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى، وغيرهم - عليهم الصلاة والسلام.. ولعل الحكمة في ذلك أن الله سبحانه - وهو أعلم بمرادهم - قد حكى لنا ما ينفعنا مما قد حدث لكل نبي مع قومه. وقد أخبرنا عز وجل بأنه قد أرسل أنبياء ورسلاً كثيرين، منهم: من قص الله علينا بما حدث له مع قومه، ومنهم: من لم يخبرنا بشيء من أحواله.

ومن الأنبياء الذين جاء الحديث عنهم بصورة تتناسب مع مقتضى أحوالهم مع أقوامهم أيوب عليه السلام. (١)

٢ - وهناك قصص لأمم وأشخاص غير الأنبياء، كما هو الحال في قصة نبي القرنين، والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وابني آدم، وطالوت وجالوت، وأهل الكهف، وأصحاب السبت، وأصحاب الأخدود، وغيرهم. (٢)

ثانياً: أهمية القصص القرآني:

القصص في القرآن يحتل مساحة كبيرة منه، لعلها تبلغ ثلث القرآن، وهذا دليل على أهمية القصة في القرآن. ويمكن أن نجمل أهميتها فيما يأتي:

١ - تثبيت قلب النبي وقلوب الأمة المحمدية على دين الله، وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده. قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ١٢٠)

٢ - إظهار صدق محمد في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال، كقصة عيسى وأمه، وداود، وأيوب، ويونس، ونوح.

٣ - مقارعة أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما

(١) انظر: المجالي، أ.د. محمد: الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ٢٣١، و طنطاوي، د. محمد سيد: القصة في القرآن الكريم ص ٧٠٧.

(٢) انظر: الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ٢٣٢ و مباحث في علوم القرآن ص ٣٠٦.

في كتبهم قبل التحريف والتبديل كقوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَأَتَوْا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ٩٣)

٤ - الاعتبار بمن سبقنا، وذلك في أكثر من جانب؛ فالعبرة للمؤمنين بما ختم الله كثيراً من القصص من نصرة جنده وهزيمة أعدائه؛ فالعبرة هي في الثقة بالله والتوكل عليه والثبات على المبدأ، وفي جانب الأعداء كانت العبرة ببيان مصير المكذبين بالرسول وسوء عاقبتهم.

٥ - القصص القرآني زاد غزير الفائدة للدعاة إلى الله سبحانه، فهو ترجمة لما جرى بين الأنبياء وأقوامهم، وبين الدعاة من غير الأنبياء ومن عاشوا معهم، وهو بذلك يبين لنا أطرافاً متعددة في الأساليب الملائمة للدعوة، مع اختلاف البيئات، واختلاف المقام، وأسس الدعوة إلى الله، وترتيب الأولويات.

٦ - إن من أدب الشريعة معرفة تاريخ سلفها في التشريع من الأنبياء بشرائعهم؛ فكان اشتمال القرآن على قصص الأنبياء وأقوامهم تكليلاً لهامة التشريع الإسلامي.

٧ - ما في القصص من فائدة التاريخ، كمعرفة ترتيب المسببات على أسبابها في الخير والشر، والتعمير والتخريب؛ لتقتدي الأمة وتحذر؛ قال تعالى: ﴿فَتَلَّكَ بِوَيْحِهِمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ (النمل: ٥٢) وما فيها من فائدة ظهور المثل العليا في الفضيلة، وزكاء النفوس، أو ضد ذلك.

٨ - إن في حكاية القصص سلوك أسلوب التوصيف والمحاورة، وذلك أسلوب لم يكن معهوداً للعرب؛ فكان مجيئه في القرآن ابتكار أسلوب جديد في البلاغة العربية، شديد التأثير في نفوس أهل اللسان، وهو من إعجاز القرآن؛ إذ لا ينكرون أنه أسلوب بديع، ولا يستطيعون الإتيان بمثله؛ إذ لم يعتادوه. انظر إلى حكاية أحوال الناس في الجنة والنار والأعراف، في سورة الأعراف.

٩ - والقصة نوع من التسلية، ونموذج للأدب العفيف، والخلق القويم، وذلك بما

احتواها من نماذج فريدة في الأخلاق، كالصدق والصبر، والوفاء والتضحية.^(١)

ثالثاً: تعريف النبي لغة واصطلاحاً

النبي في اللغة مأخوذ من النَّبَأُ، وهو الخبر، تقول: نَبَأَ وَنَبَأً، أي أخبر، ومنه أخذ النَّبِيُّ؛ لأنه أنبأَ ﷺ عن الله، وهو فَعِيلٌ، بمعنى فاعلٍ، أو مأخوذ من النبوة: من نبا ينبو نبواً وهو الارتفاع؛ لأن نبا بمعنى ارتفع، ولا شك في ارتفاع رتبة النبي.^(٢)

و أما في الاصطلاح: فهو من أوحى إليه بملك أو ألهم في قلبه، أو نبه بالرؤيا الصالحة، أو هو من جاء بتجديد شريعة رسول سابق^(٣)، ولعل التعريف الأخير هو الصحيح، والله أعلم .

رابعاً: أيوب ﷺ في القرآن

ذكر نبي الله أيوب ﷺ في القرآن أربع مرات وهي:

الأولى في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ...﴾ (النساء: ١٦٣).

الثانية في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام: ٨٤)

(١) انظر مباحث في علوم القرآن ص ٣٠٧ و الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ٢٢٧ - ٢٢٩ و ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير ج ١: ٦٤ - ٦٥ ..

(٢) انظر الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط - باب الهمزة - فصل النون ج ١ \ ٦٧ ومصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط ج ٢ \ ٨٩٦.

(٣) انظر: الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد: التعريفات ص ١٢٥ ومن العلماء من قال أن النبي هو من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ، وهذا ليس عليه دليل، بل يتعارض مع وظيفة النبي وهي التبليغ والإخبار عن الله سبحانه، وهو معنى الإنباء في اللغة.... ولو كان الأمر كذلك ما قوتل و قتل طائفة منهم قال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ آل عمران: ١٤٦ (وقريء قتل بالبناء للمجهول وهذا يعود على النبي ومن معه من الربيين، وهذا لا يكون ما لم يكن هناك تبليغ والله أعلم .

الثالثة وهي قوله عز وجل: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

الرابعة في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١). (١).

والآيتان الأخيرتان هما اللتان تحدثتا عما حصل لأيوب عليه السلام من ابتلاء.

نسبه:

أيوب عليه السلام من ذرية إبراهيم الخليل - عليهما السلام -، وذلك اعتماداً على قوله سبحانه في سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ إلى أن يقول ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي ومن ذرية إبراهيم عليه السلام ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾؛ وذلك لأن الكلام سيق في الحديث عن إبراهيم عليه السلام. وذهب بعض أهل العلم إلى أن أيوب عليه السلام ليس من ذرية إبراهيم، وجعل الضمير في قوله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ راجعاً إلى نوح؛ لأنه أقرب مذكور، والصحيح ما ذكرنا، والله أعلم (٢).

مكانه وزمانه:

كان أيوب عليه السلام نبياً غنياً، من أرباب العقار والماشية. وكان أميراً في قومه، وكانت أملاكه، ومنزله في الجنوب الشرقي من البحر الميت، بين بلاد أدوم وصحراء العربية، وكانت إذ ذاك خصيبة رائعة التربة، كثيرة المياه، وكان زمنه بعد زمن إبراهيم. ورأى القرطبي أنه في زمن يعقوب عليه السلام، وأن أمه ابنة لوط عليه السلام. وقيل أنه في زمن موسى عليه السلام.. هذا ما ذكره عن أيوب عليه السلام -المفسرون مما يستأنس به، ولا يقطع به (٣).

(١) عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٠٨، دار الحديث - القاهرة .

(٢) انظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء: البداية والنهاية ج ١: ١٧٢ وشيبة الحمد، عبد القادر: قصص الأنبياء القصص الحق ص ١٩٤.

(٣) انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن ج ١٨: ٢١٣ وتفسير القاسمي ج ١١:

رسالة أيوب:

ذكر الله تعالى أيوب مع الأنبياء والرسل الذين يوحى إليهم في سورة النساء، بقوله سبحانه: ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ... ﴾ (الآية ١٦٣)

ومع ذلك فإن القرآن لم يذكر لنا شيئاً عن قوم أيوب، ولا عن دينهم، ولا عن الأحوال التي اقتضت بعثة أيوب إليهم، وهل آمن به أحد أو لا؟^(١)

ولعل في قصة أيوب عليه السلام وصبره من العبر والعظات ما يهم المؤمنين أكثر من ذكر قومه، أو غير ذلك من أمور.

المطلب الأول

الدخيل من التفسير الوارد في قصة أيوب عليه السلام

ينبغي أولاً أن نبين معنى الدخيل لغة واصطلاحاً.

الدخيل في اللغة يطلق على: من دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم، وعلى الضيف لدخوله على المضيف، وكل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه، وعلى الفرس بين الفرسين في الرهان.^(٢) ثم صار يطلق على: الإسرائيليات التي تطرقت إلى كتب التفسير، والموضوعات، وبدع المفسرين وأخطاء بعضهم، وآراء أهل الفرق الضالة.

ويمكن تقسيم الدخيل من التفسير الذي جاء في قصة أيوب - عليه السلام - إلى قسمين، كل قسم منهما مبين بالتفصيل في المبحثين الأول والثاني، نعتبهما بالمبحث الثالث والمتضمن استخلاص المواضع التي غزاها الدخيل في القصة، وهاكم بيانه:

(١) روي عن وهب بن منبه أنه سئل: ما كان شريعة أيوب - عليه السلام - فقال: «التوحيد وصلاح ذات البين، وإذا أراد أحدهم حاجة إلى الله عز وجل خر ساجداً ثم طلب حاجته...» وهو خبر إسرائيلي ليس عليه دليل، انظر ابن حنبل، أحمد: كتاب الزهد ص ٧٧، و الوكيل، د.محمد السيد: نظرات في أحسن القصص ج ١: ٢٨٥.

(٢) انظر المعجم الوسيط ج ١: ٢٧٥.

المبحث الأول: الضعيف من التفسير الوارد في قصة أيوب عليه السلام

وهي الروايات الضعيفة والموضوعة التي نقلها المفسرون في كتبهم عن بعض السلف، وأكثرها إسرئيليات.

أولاً: الرواية المشهورة في قصة أيوب:

الروايات التي تداولها المفسرون والإخباريون في قصة أيوب - عليه السلام - تدور في أغلبها حول رواية الطبري التي ذكرها في تفسيره؛ لذلك اخترت هذه الرواية للحديث عن جوانب الضعف فيها.
رواية الإمام الطبري (١):

روى ابن جرير في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ، مِنْ ضُرِّهِ، وَعَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا، وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿ (الأنبياء: ٨٣) وكذلك آيات (سورة ص ٤١-٤٤) روى فيها رواية طويلة،

إذ قال: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد -عليه الصلاة والسلام-: وانكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه، وقد مسه الضر والبلاء ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، يَقول تعالى ذكره: فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا، فكشفنا ما كان به من ضر وبلاء وجهد. وكان الضر الذي أصابه، والبلاء الذي نزل به، امتحاناً من الله له واختباراً، وكان سبب ذلك كما حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن هشام؛ قال: ثني عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهب بن منبه (٢) يقول: كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه، أنه

(١) هو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري المؤرخ والمفسر والمحدث والفقير المجتهد، ولد سنة ٢٢٤ هـ في أمل طبرستان وتوفي سنة ٣١٠ هـ ببغداد. انظر الزركلي، خير الدين الأعلام ج ٦: ٢٩٤ ووفيات الأعيان ج ٤: ١٩١-١٩٢.

(٢) هو وهب بن منبه أبو عبدالله بن منبه اليماني، صاحب الأخبار والقصص، وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، توفي سنة عشر وقيل أربعة عشر ومائة بصنعاء، انظر وفيات الأعيان ج ٦: ٣٥-٣٦.

كان صابراً نعم العبد. قال وهب: إن لجبريل بين يدي الله مقاماً ليس لأحد من الملائكة في القرية من الله والفضيلة عنده، وإن جبريل هو الذي يتلقى الكلام، فإذا ذكر الله عبداً بخير تلقاه جبرائيل منه، ثم تلقاه ميكائيل، وحوله الملائكة المقربون، حافين من حول العرش.... وكان إبليس لا يحجب بشيء من السموات، وكان يقف فيهن حيث شاء ما أرادوا. ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة، فلم يزل على ذلك، يصعد في السموات، بعث الله عيسى ابن مريم، فحجب من أربع، وكان يصعد في ثلاث، فلما بعث الله محمداً ﷺ - حجب من الثلاث الباقية (١)، فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السموات إلى يوم القيامة... قال وهب: فلم يرع إبليس إلا تجاوب ملائكتها بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه، فلما سمع إبليس صلاة الملائكة، أدركه البغي والحسد، وصعد سريعاً حتى وقف من الله مكاناً كان يقفه (٢)، فقال: يا إلهي، نظرت في أمر عبدك أيوب، فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك، وعافيته فحمدك، ثم لم تجربته بشدة، ولم تجربته ببلاء، وأنا لك زعيم لأن ضربته بالبلاء ليكفرن بك، ولينسينك، وليعبدن غيرك، قال الله تبارك وتعالى له: انطلق، فقد سلطتك على ماله، فإنه الأمر الذي تزعم أنه من أجله يشكرني، ليس لك سلطان على جسده، ولا على عقله. فانقض عدو الله حتى وقع على الأرض، ثم جمع عفاريت الشياطين، وعظماءهم. وكان لأيوب البتنية من الشام كلها، (٣) بما فيها من شرقها وغربها، وكان له بها ألف شاة برعاتها، وخمس مئة فدان، يتبعها خمس مئة عبد،... فلما جمع إبليس الشياطين، قال لهم: ماذا عندكم من القوة والمعرفة؟ فإنني قد سلطت على مال أيوب، فهي المصيبة الفادحة، والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال. قال عفريت من الشياطين: أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إصصاراً من نار؛ فأحرقت كل شيء آتى عليه، فقال له إبليس: فأت الإبل ورعاتها. فانطلق يوم الإبل، .. فلم تشعر الناس حتى تار من تحت الأرض

(١) كونه لم يكن محجوباً عن السموات ثم حجب عن أربع.. ثم عن ثلاث ليس على هذا دليل من القرآن أو السنة.

(٢) واضح أن هذا ليس عليه دليل شرعي صحيح فمن أين لوهب بن منبه راوي هذه الرواية أن يعلم أن إبليس وقف من الله هذا المكان، إنه خبر إسرائيلي؟!

(٣) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل آي القرآن ج ١٠: ٧٥

إعصار من نار، تنفخ منها أرواح السموم، لا يدنو منها أحد إلا احترق، فلم يزل يحرقها ورعاتها، حتى أتى على آخرها. فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها^(١) براعيها، ثم انطلق يؤم أيوب، حتى وجده قائماً يصلي، فقال: يا أيوب، قال: لبيك قال: هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترت وعبدت ووحدت بإبلك ورعاتها؟ قال أيوب: إنها مال أعارنيه، وهو أولى به؛ إذا شاء نزعته، وقديماً ما وطنت نفسي ومالي على الفناء^(٢). قال إبليس: وإن ربك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت ورعاتها، حتى وهم وقوف عليها يتعجبون؛ منهم: من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئاً، وما كان إلا في غرور^(٣)، ومنهم: من يقول: لو كان إله أيوب يقدر على أن يمنع من ذلك شيئاً لمنع وليه، ومنهم: من يقول: بل هو فعل الذي فعل؛ ليشمت به عدوه، وليفجع به صديقه^(٤). قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني، وحين نزع مني، عُرياناً خرجت من بطن أمي... ثم رجع إبليس إلى أصحابه خاسئاً ذليلاً، فقال لهم: ماذا عندكم من القوة؟ فإني لم أكلم قلبه؟ قال عفريت من عظمائهم: عندي من القوة ما إذا شئت صحت صوتاً لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه. قال له إبليس: فأت الغنم ورعاتها، فانطلق يؤم الغنم ورعاتها، حتى إذا وسطها صاح صوتاً جثمت أمواتاً من عند آخرها^(٥) ورعاءها. ثم خرج إبليس متمثلاً بقهرمان الرعاء^(٦)، حتى إذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلي، فقال له القول الأول، ورد عليه أيوب الرد الأول. ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه، فقال لهم: ماذا عندكم من القوة، فإني لم أكلم قلب أيوب؟^(٧) فقال عفريت من عظمائهم: عندي من القوة إذا شئت تحولت ريحاً عاصفاً، تنسف كل شيء تأتي عليه، حتى لا أبقى شيئاً. قال له إبليس: فأت الفدادين والحرث، فانطلق يؤمهم... فلم يشعروا حتى هبت ريح

(١) القعود هو البكر حين يركب إلى أن يصير في السادسة انظر: مصطفى، إبراهيم ورفاقه: المعجم الوسيط ج ١: ٧٤٩.

(٢) ما هنا ليست نافية وإنما مصدرية كما يفهم من سياق الكلام.

(٣) لو صحت هذه الرواية سنداً فإن هذه العبارة لا يمكن أن يقولها مؤمن لنبيه!

(٤) هاتان العبارتان فيهما من قلة الأدب والتناول على الخالق جل وعلا ما فيهما، وهذا ليس بمستغرب على الروايات الإسرائيلية.

(٥) تفسير الطبري ج ١٠: ٧٥-٧٦.

(٦) المراد بقهرمان الرعاء وكيل صاحب المال المختص بتدبير أمور الرعاة.

(٧) يقصد أنه لم يجرحه من الكلم وهو الجرّح كما هو معروف،

عاصف تنسف كل شيء من ذلك، حتى كأنه لم يكن. ثم خرج إبليس متمثلاً بقهرمان الحرث، فقال له مثل قوله الأول، ورد عليه أيوب مثل رده الأول.

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله، ولم ينجح منه، صعد سريعاً، حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه^(١)، فقال: يا إلهي، إن أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده، فأنت معطيه المال، فهل أنت مسلطي على ولده؟ فإنها الفتنة المضلة، والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال، فقال الله تعالى له: انطلق فقد سلطتك على ولده، ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده، ولا على عقله. فانقض عدو الله جواداً^(٢)، حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم، فلم يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل يناطح الجدر بعضها ببعض، ويرميهم بالخشب والجدل، حتى إذا مثل بهم كل مثلة، رفع بهم القصر، حتى إذا أقله بهم فصاروا فيه منكسين، انطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة، وهو جريح، مشدوخ الوجه، يسيل دمه... فلما نظر إليه أيوب هاله وحزن، ودمعت عيناه، وقال له: يا أيوب، لو رأيت كيف أفلتت من حيث أفلتت، والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا، ولو رأيت بنيك كيف عذبوا، وكيف مثل بهم، وكيف قلبوا؛ فكانوا منكسين على رؤوسهم، تسيل دماؤهم ودماعهم من أنوفهم وأجوافهم، وتقطر من أشفارهم، ...، ولو رأيت العظام متهشمة في الأجواف، ولو رأيت الوجوه مشدوخة^(٣)، ولو رأيت الجدر تناطح عليهم، ولو رأيت ما رأيت قطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه، ولم يزل يرققه حتى رق أيوب فبكى، وقبض قبضة من تراب، فوضعها على رأسه^(٤)، فاغتنم إبليس عند ذلك، فصعد سريعاً بالذي كان من جزع أيوب، مسروراً به. ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر؛ فاستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبة منه، فبدروا إبليس إلى الله، فوجدوه قد علم بالذي رفع إليه من توبة أيوب، فوقف إبليس خازياً ذليلاً، فقال: يا إلهي، إنما هون على أيوب خطر

(١) هكذا ورد في هذه الرواية الإسرائيلية! وليس عليه دليل صحيح.

(٢) جواداً أي مسرعاً.

(٣) تفسير الطبري ج ١٠: ٧٧

(٤) لا شك ببطلان هذه الرواية عن نبي الله أيوب عليه السلام، فلا يمكن أن يصدر الفعل المذكور هنا عن رجل صالح ناهيك عن نبي شهد له ربه بأنه نعم العبد، وأنه وجد صابراً.

المال والولد أنه يرى أنك ما متعته بنفسه؛ فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلطي على جسده؟ فأنا لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك، وليكفرن بك، وليجحدنك نعمتك. قال الله: انطلق فقد سلطتك على جسده^(١)، ولكن ليس لك سلطان على لسانه، ولا على قلبه، ولا على عقله. فانقض عدو الله جواداً، فوجد أيوب ساجداً، فعجل قبل أن يرفع رأسه، فأتاه من قبل الأرض في موضع وجهه، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده؛ فترهل،...، ووقعت فيه حكة لا يملكها، فحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حك بالعظام، وحك بالحجارة الخشنة، وبقطع المسوح الخشنة، فلم يزل يحكّه حتى نفذ لحمه وتقطع. ولما نغل جلد أيوب وتغير وانتن أخرجه أهل القرية، فجعلوه على تل، وجعلوا له عريشاً، ورفضه خلق الله غير امرأته^(٢)، فكانت تختلف إليه بما يصلحه ويلزمه. وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه، فلما رأوا ما ابتلاه الله به تركوه من غير أن يتركوا دينه، واتهموه؛ يقال لأحدهم: بلد، وأليف، وصافر. قال: فانطلق إليه الثلاثة، وهو في بلائه، فبكتوه؛ فلما سمع منهم أقبل على ربه، فقال أيوب صلى الله عليه وسلم: رب لأي شيء خلقتني؟ لو كنت إذ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني، يا ليتني كنت حيضة ألقنتني أمي، ويا ليتني مت في بطنها، فلم أعرف شيئاً ولم تعرفني، ما الذنب الذي أنذبت لم يذنبه أحد غيري؟.....»^(٣)

التعليق: هذه رواية الإمام الطبري-مع بعض الاختصار- في تفسير آية سورة الأنبياء التي تحدثت عن الضر الذي أصاب أيوب عليه السلام. وقد اعتمد على هذه الرواية ونحوها كثير من المفسرين في كتبهم، كابن أبي زمنين، والقرطبي، كذلك اعتمد عليها كثير ممن كتب في قصة أيوب من الكتاب والأدباء^(٤).

وقد ترك ابن كثير هذه القصة، فلم يذكرها في تفسيره؛ لما فيها من غرابة - كما

(١) لا يمكن أن يكون هذا كلام الله! فلا يعقل أن يأذن الله بتسليط عدو الله على أحبائه من الأنبياء.

(٢) سيأتي تعليقي على تفاصيل هذه القصة وبخاصة ما يتعارض منها مع ما نعتقد من صفات واجبة للأنبياء والمرسلين.

(٣) تفسير الطبري ج ١٠: ٧٨-٧٩.

(٤) انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن ج ١٨: ٢١١ وابن أبي زمنين،

أبو عبد الله: تفسير ابن أبي زمنين ج ٢/ ١٠٣-١٠٤.

يقول-، وكذلك لطولها^(١).

وعلق الشوكاني على هذه القصة بقوله: «وفي هذا نكارة شديدة؛ فإن الله تعالى لا يمكن الشيطان من نبي وأبنائه، ويسلطه عليه هذا التسليط العظيم»^(٢).
وسنتحدث عن جوانب الضعف في قصة أيوب عليه السلام والدخيل فيها، في الصفحات القادمة، من خلال رواية الإمام الطبري إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: التأويلات البعيدة في قصة أيوب عليه السلام

وهي التأويلات التي حاول بعض المفسرين الفرار بها من الإسرائيليات الدخيلة على القصة.

فرأى أولئك تفسير قصة أيوب تفسيراً يبعد القصة عن الإسرائيليات التي حيكت حولها، كرد فعل اتجاه من فسرها بالروايات الإسرائيلية من المفسرين والقصاص؛ فحملوا الآيات ما لا تحتمل:

ففسروا قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾: إعراض الناس واستهزاؤهم بالدعوة والداعين؛ فإن ذلك من عمل الشيطان، فشكوى الأنبياء لم تكن إلا بسبب إعراض أممهم عن الاستجابة، وحننهم لم يكن إلا بسبب بطء في سير الدعوة، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَبَقِ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٢٧)

أما قوله تعالى: ﴿أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ﴾ فالمراد بـ ﴿أَرْكُضْ﴾ عقد العزيمة وتأكيدها، واستتمام الثقة وإكمالها؛ وذلك لأن الشكوى تشعر بالوهن وعدم القوة في السير إلى الغاية لذلك، هذا ما كان من جواب تلك الشكاية^(٣).

أما قوله تعالى: ﴿هَذَا مَغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فلما كان تردد المرء في غايته، ووهن

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٣: ١٨٨.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ج ٤: ٤٣٩.

(٣) نقل ذلك أستاذنا الدكتور فضل عباس في كتابه: قصص القرآن الكريم ص ٦٧٥.

عزيمته مرضاً يضايق الصدور . كان عقد العزيمة واستكمال الثقة غسلًا للروح من صدها، وشفاء للنفس من مرضها، فالمراد من المغتسل هو عقد العزيمة، واستكمال الثقة، وهنا يكون اسم الإشارة راجعاً إلى الركض بالرجل التي هي كناية عن عقد العزيمة»^(١)

وأما قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ فأولها بعضهم ب: هدينا أهله فأمنوا به واستجابوا لدعوته، وهدينا له مثلهم من غير أهله، فالهبة هنا هي الهداية والإرشاد، لا هبة الخلق؛ لأن ما يهتم به الأنبياء هو أن يهدي الله بهم لا أن يولد لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَحُذِّبِيكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْتَتِ﴾ فسروها: أي لا ترفع في وجوه قومك رمحاً، ولا عصاً، ولا تغلظ لهم في القول، بل لوح في وجوههم الرياحين، ولا تأثم بالغلظة»^(٢)

وهناك تأويل آخر قال به بعض المفسرين: حيث أولوا المغتسل البارد والشراب في قصة أيوب بأنه الوحي «الذي أنزله الله عليه، وهداه إلى العمل به»، فهو الذي يغسل الأوضار والأدران^(٣)، وهو «المغتسل البارد والشراب». وحجته في ذلك أن «القرآن كثيراً ما يكتفي عن الوحي بالماء والمطر؛ ولا شك أن كلام الله هو العلاج لكل داء، والدواء لكل مرض»^(٤).

كما فسر هذا المفسر قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ تفسيراً بعيداً؛ فقد فسر الأهل هنا بأنهم «أتباعه في الدين»^(٥).

أقول: وهذه التأويلات - كما نرى - بعيدة كل البعد عن مدلول اللفظ القرآني، ولا يصح أن نُحْمِلَ الألفاظ ما لا تحتمل، وليس مبرراً صحيحاً لكي نبعد النص القرآني عن الإسرائيليات أن نقع بهذا التحريف الكبير له؟! فكيف يفسر الماء البارد بكلام

(١) السابق .

(٢) قصص القرآن الكريم ص ٦٧٦ .

(٣) حجازي، محمد محمود: التفسير الواضح ج ٣: ٢٤٣-٢٤٤ .

(٤) السابق ج ٣: ٢٤٤ .

(٥) التفسير الواضح ج ٣: ٢٤٤ .

الله؟! والأصل في الكلام العربي أن يحمل على الحقيقة إلا إذا جاءت قرينة تصرفه من الحقيقة إلى المجاز.....، ولا قرينة ثمة هنا.

والأصل في الأهل أنهم أهل الرجل؛ جاء في اللغة: أهل فلان يأهل ويأهل أهولاً أي تزوج، والأهل: الأقارب والعشيرة والزوجة^(١). فتفسير أهله في الآية بأنهم أتباعه في الدين تأويل بعيد، يخالف اللغة؛ فلا يُقبل.

المبحث الثالث: استخلاص الموضوعات التي أصابها الدخول في القصة.

واستخلاصاً لما جاء في القسمين السابقين فإنه يمكن تقسيم ما ورد من دخيل في التفسير في قصة أيوب بمختلف رواياتها ورواياتها وتأويلاتها إلى الأقسام التالية:

أولاً: سبب ما أصابه من بلاء.

ثانياً: طبيعة البلاء الذي أصابه.

ثالثاً: مدة البلاء.

رابعاً: ما نسب إلى أيوب من الشكوى.

خامساً: كيف شفي من مرضه.

سادساً: كيف عوض الله عليه أهله وماله.

وهذا تفصيل لما أجمل:

أولاً: ما ورد في ذكر سبب ما أصابه من بلاء

قد وردت روايات عديدة ذكرت سبب ما أصاب أيوب عليه السلام من بلاء، وأغلبها يعود إلى الإسرائيليات، منها:

«أن الله تعالى أثنى على أيوب في الملائكة الأعلى، وتجاوبت الملائكة بذكره والصلاة عليه، وذاع صيته في الملائكة الأعلى، وسمع بذلك إبليس فحسده على مكانته عند الله، وسأل الله

(١) انظر: المعجم الوسيط ج ١: ٣٦.

أن يسلمه عليه؛ ليفتنه عن دينه؛ فسلطه الله...»^(١) بل ذكر بعضهم اسم الشيطان الذي سلط على أيوب- في زعمهم -؛ فعن نوف البكالي^(٢) قال: كان (الشيطان) الذي سلط على أيوب اسمه مسوط.^(٣)

الرواية الأخرى في سبب بلائه: أنه كان بسبب سكوته عما كان يصنع فرعون من المنكرات؛ فقد أخرج ابن الأثير وابن عساكر عن أبي إدريس الخولاني^(٤)؛ قال: «أجذب الشام، فكتب فرعون إلى أيوب: أن هلم إلينا؛ فإن لك عندنا سعة، فأقبل بخيله وماشيته، فأقطعهم، فدخل شعيب على فرعون، ووعظه وخوفه، وأيوب ساكت لا يتكلم، فلما خرج شعيب وأيوب، أوحى الله إلى أيوب: سكت عن فرعون لذهابك إلى أرضه؛ استعد للبلاء. وفي رواية قال أيوب: فديني؟^(٥) قال (أي الله): أسلمه لك. قال: لا أبالي.»^(٦)

وأخرج ابن عساكر من طريق جويبر، عن الضحاک، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «إنما كان ذنب أيوب أنه استعان به مسكين على ظالم يدرؤه عنه، فلم يعنه، ولم يأمر بمعروف وينه الظالم عن ظلم المسكين؛ فابتلاه الله»^(٧). وهذه الرواية أحد رواياتها هو جويبر، وهو ضعيف؛ ذكره البخاري في الضعفاء^(٨)؛ فهي إذاً رواية مردودة.

وأخرج ابن عساكر عن الليث بن سعد^(٩) قال: «كان السبب الذي ابتلي فيه أيوب أنه

(١) ابن الأثير، الكامل ج ١: ١٢٨ ونقلها عنه مقراً بها كل من محمد الوكيل في كتابه (نظرات في أحسن القصص) ج ١: ٢٨٧ ومحمد جاد المولى والبجاوي في (قصص القرآن) ص ٢٣٢ ومحمد كامل المحامي في كتابه (صبر أيوب) ص ٣٧ - ٤٦.

(٢) هو نوف بن فضالة الحميري البكالي: إمام أهل دمشق في عصره. من رجال الحديث. ورد ذكره في الصحيحين. وكان راوياً للقصص توفي سنة خمس وتسعين للهجرة. انظر الأعلام ج ٩: ٣١.

(٣) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ج ١٠: ٣٢٤٥، وانظر الدر المنثور ج ١٢: ٦٠٠.

(٤) عبد الله بن ثوب الخولاني تابعي فقيه عابد زاهد، أصله من اليمن، قاضي دمشق وعالمها وواعظها توفي سنة اثنين وستين للهجرة بدمشق. انظر: الأعلام ج ٤: ٢٠٣ وسير أعلام النبلاء ج ٤: ٢٧٢ - ٢٧٦.

(٥) أي بقصد أيوب - عليه السلام - هل سيصيب ديني مكروه مع هذا البلاء الذي سينزل بي؟

(٦) الكامل ج ١: ١٢٩ وانظر: نظرات في أحسن القصص ج ١: ٢٨٧.

(٧) السيوطي، جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٤: ٥٨٨.

(٨) البخاري، محمد بن إسماعيل: الضعفاء ج ١: ٣٩.

(٩) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي بالولاء أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً، كان من الكرماء الأجواد، توفي سنة مائة وخمس وسبعين للهجرة. انظر: وفيات الأعيان ج ١: ٣٨ والأعلام ج ٦: ١١٥.

دخل أهل قريته على ملكهم، - وهو جبار من الجبابرة -، وذكر بعض ما كان من ظلمه الناس، فكلموه فأبلغوا في كلامه، ورفق أيوب في كلامه له؛ مخافة منه لزرعه، فقال الله: «اتقيت عبداً من عبادي من أجل زرعك»؟ فأنزل الله به ما أنزل من البلاء». وقد اختار هذه الرواية ابن عطية و القرطبي، وذكرها السيوطي في تفسيره^(١).

وروى الإمام أحمد بسنده، عن سفيان بن عيينة^(٢) قال: «لما أصاب أيوب عليه السلام الذي أصابه أرسل إلى أصحابه؛ فقال: تدرون لأي شيء أصابني هذا؟ قالوا: أما نحن فلم يكن يظهر لنا منك شيء نعرفه إلا أن تكون أسررت شيئاً ليس لنا به علم، فقاموا من عنده، وذهبوا، فلقوا إنساناً دونهم في العلم، فقال: لأي شيء دعاكم نبي الله عليه السلام؟ فأخبروه، قال: فأنا أخبره بما أصابه هذا، فأتاه فسأله، فقال: لأنك شربت شربة لم تحمد الله عليها، ولم تشكر النعمة، ولعلك استظلمت في ظل لم تشكر النعمة!»^(٣)

هذه الروايات مردودة؛ فالرواية الأولى - رواية ابن الأثير - ليس لها دليل من الكتاب أو السنة على أن إبليس تكلم مع الله تعالى...؟!.

وأما الروايات الباقية فلا شك ببطلانها؛ فكيف ينسب إلى نبي الله أيوب أنه سكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، «والسكوت على ذلك غير مقبول من القادرين عليه، فكيف إذا كان السكوت من العلماء؟ بل كيف إذا كان من أحد الأنبياء؟»^(٤).

وأما الرواية الأخيرة عن سفيان بن عيينة: «لأنك شربت شربة لم تحمد الله عليها...»، فلا شك ببطلانها؛ فكيف ينسب لنبي الله أنه لم يشكر النعمة؟! ومن يشكر الله إذا لم يشكره أعلم الناس به تعالى وأدراهم بواجبه؟ وهل نبي الله بحاجة إلى من يعرفه بخطئه من أمته - إن أخطأ؟!.

(١) انظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٤: ٩٤ - ٩٥ و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج ١٤: ٢٥٧ والدر المنثور ج ٤: ٥٨٨ - ٥٨٩.

(٢) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الكوفي، أبو محمد، محدث الحرم المكي، كان إماماً عالماً ثبتاً حجة زاهداً ورعاً ولد بالكوفة عام مئة وسبعة للهجرة، وسكن مكة وتوفي بها عام ثمان وتسعون ومائة للهجرة. انظر وفيات الأعيان ج ١: ٢١٠.

(٣) كتاب الزهد ص ٧٨ - ٧٩.

(٤) نظرات في أحسن القصص ج ١: ٢٨٨.

ثانياً: طبيعة البلاء الذي أصابه:

وهنا وجدنا بعض المؤرخين والمفسرين قد نقلوا روايات عجيبة و غريبة في طبيعة المرض الذي أصاب أيوب عليه السلام، وكلها من الإسرائيليات، حتى زعم بعضهم أنه كان مكتوباً على جبينه: المبتلى الصابر! (١)

من هذه الروايات: « أن الدود كان يتناول بدنه فصبر، حتى تناولت دودة قلبه، وأخرى لسانه، فقال: (مسنى الضر)» (٢).

وقد روي عن الحسن قال: ما كان بقي من أيوب إلا عيناه، وقلبه ولسانه، فكانت الدواب تختلف في جسده، قال: ومكث في الكناسة سبع سنين وأياماً، أو قال وأشهرًا. وروي عن سليمان التيمي مثل ذلك (٣).

وبالغ بعض المفسرين فزعم أن الله سلط على جسده اثنتي عشر ألف دودة؛ وذلك «لأنها عدد الجند الكامل، كما قال الرسول عليه السلام: (اثنا عشر ألف لن يغلب عن قلة أبدأ)، وزعم صاحبنا أن «الدود أكل جميع جسده حتى بقي العظام والقلب، واللسان والأذنان والعينان» (٤)

ومنها: «أنه أصابته أكلة في بدنه، فلما عظمت وتقطع بدنه أخرجه الناس من بينهم، ولم يبق معه غير زوجته» (٥).

وروى ابن جرير عن وهب بن منبه قال: «لم يكن بأيوب الأكلة، إنما كان يخرج منه

(١) نقل هذه الرواية السيوطي في الدر المنثور ج ٤: ٥٨٨ وذلك نقلا عن الحاكم النيسابوري الذي رواها عن كعب بن سمرة.

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن ١٤: ٢٥٨ وانظر القنوجي، صديق حسن: فتح البيان في مقاصد القرآن ج ٨: ٣٥٩.

(٣) كتاب الزهد ص ٧٧ و ٧٨.

(٤) البروسوي، إسماعيل حقي: روح البيان ج ٥: ٥١٢-٥١٣.

(٥) الثعالبي، عبد الرحمن: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج ٢: ٣٨٤. وقد نقل هذه الرواية من المعاصرين مقراً بمضمونها محمد كامل المحامي في كتابه «صبر أيوب» ص ٢٤، ٥٦ ومحمود شلبي في كتابه «حياة أيوب» ص ١٢٠، ١٦٦.

مثل تُدِي النساء، ثم يتفقاً»^(١)

ومن هذه الروايات: أنه انقطع الوحي عنه أربعين صباحاً، وخاف هجران ربه؛ فقال:
(مسنى الضر)^(٢)

ومنها: أن الضر الذي أصابه هو شماتة الأعداء.^(٣)

ومنها «أن ضره قول إبليس لزوجته: اسجدي له، فخاف زهاب الإيمان عنها، فتهلك،
ويبقى بغير كافل».^(٤)

ومن هذه الروايات: أنه وثب ليصلي فلم يقدر على النهوض.^(٥) ورجح هذا
الأكوسي^(٦)

وزعم بعض المفسرين أن ما أصاب أيوب هو مرض في جلده - لكنه ليس منفراً، ولعله
يستند في هذا إلى ما نسب إلى مجاهد من أن أيوب عليه السلام كان أول من أصابه الجدري.^(٧)
ورأى بعض العلماء أن ما أصاب أيوب من الابتلاء - على الوجه الذي ذكره المفسرون
وعلماء التاريخ من مرض منفراً - إنما كان قبل النبوة، وأن منحة النبوة إنما كانت لما بدا
منه من الصبر والرضا بما أصابه من مكروه. وبهذا قال عبد الوهاب النجار، وتابعه
عليه محمد الوكيل.^(٨)

وبين أن الروايات الثلاث الأولى فيها الادعاء بأن الدود أصابه - وبغض النظر عن

عدده -،

(١) تفسير الطبري ج ١٦: ٣٦٠، وقوله (يتفقاً) أصله من (تفقت السحابة عن مائها) أي تشققت، ومنه تفقأ
الدمل والقرح إذا تشقق، انظر الصحاح ج ١: ٦٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٤: ٢٥٧ وانظر فتح البيان ج ٨: ٣٥٩.

(٣) انظر تفسير القرطبي ج ١٤: ٢٥٩ - ٢٦٠ وفتح البيان ج ٨: ٣٥٩.

(٤) السابق ج ١٤: ٢٥٩.

(٥) القرطبي ج ١٤: ٢٥٧.

(٦) انظر: الألويسي، شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٩م
ج ١٧: ٧٦ - ٧٧.

(٧) انظر البداية والنهاية ج ١: ١٧٤ و الزحيلي، وهبة: التفسير الوسيط ج ٢: ١٦٠٥.

(٨) انظر النجار، عبد الوهاب: قصص القرآن ص ٣٤٩ و الوكيل، محمد: نظرات في أحسن القصص ج ١:

٢٩٦.

وهذا مما يتنافى مع عصمة الأنبياء وسلامتهم من الأمراض المنفرة التي لا تليق بمنصب النبوة، كما نص على ذلك العلماء^(١)؛ فكيف يدعى أن أيوب بسبب هذا المرض أخرج إلى خارج البلدة وألقي على مزبلة؟ سبحانه هذا بهتان عظيم.

قال القاسمي: «وقد روى المفسرون ههنا في بلاء أيوب روايات مختلفات، بأسانيد واهيات، لا يقام لها عند أئمة الأثر وزن، ولا تعار من الثقة أدنى نظر. نعم، يوجد في التوراة سفر لأيوب، فيه من شرح ضره، يفقد كل مقتنياته ومواشيه وآل بيته، وبنزول مرض شديد به، عدم بعدها الراحة ولذة الحياة، غرائب. إلا أنها مما لا يوثق بها جميعها؛ لما دخلها من المزيج، وتوسع بها في الدخيل، حتى اختلط الحابل بالنابل...»^(٢)

ثم قال: «ولو علم الله خيراً في أكثر مما أجمله في تنزيله الحكيم، لتفضل علينا بتفصيله، ولذا يوقف عند إجماله فيما أجمل، وتفصيله فيما فصل»^(٣).

قال الصابوني: «وقد ذكر بعضهم أموراً لا يجوز اعتقادها بالنسبة لبلاء أيوب عليه السلام، وهي منقولة عن إسرائيليات لم تصح؛ منها: أن أيوب حين اشتد به المرض، وطال به البلاء عافه الجليس، وأوحش منه الأنيس، وانقطع عنه الناس، وتعفن جسده حتى كاد الدود يخرج منه، فأخرج من البلد وألقي على مزبلة خارجها... إلى غير ذلك من الحكايات المنقولة عن التوراة المحرفة، أو هي من أقوال أهل الكتاب...»^(٤)

وأما الروايات الأربع الأخرى في وصف ضر أيوب وهي: انقطاع الوحي، ووشماتة الأعداء، وقول إبليس لزوجة أيوب ما قال...، وكونه مرضاً جليداً...، فليس عليها دليل صحيح من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه الأمور الثلاثة أو أي واحد منها - عدا المرض الجليدي - لا يطلق على الضر - كما هو معلوم في اللغة، وكما فسره المفسرون.

وأما الرواية الأخيرة من أن أيوب عليه السلام وثب ليصلي فلم يقدر على النهوض، فهي

(١) انظر مثلاً ما قاله الألويسي في تفسيره ج: ١٧ \ ٧٦-٧٧

(٢) القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل م ٧ ج ١١: ٢٨٢

(٣) المرجع السابق.

(٤) الصابوني، محمد علي: النبوة والأنبياء ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

تدل على مظهر من مظاهر المرض الذي أصابه ﷺ، وليس بالضرورة أن يكون ذا مرضه !

وأما قول النجار ومن معه: بأن الابتلاء الذي أصاب أيوب ﷺ إنما أصابه قبل النبوة، فليس بقول مقبول؛ وذلك لأننا لا نسلم أولاً أن ما أصاب أيوب هو مرض منفر، فليس هناك دليل صحيح عليه. كما أن الأنبياء عموماً أوحى إليهم بالنبوة من غير أن يسبق ذلك أمراض تصيبهم فتنهكهم !

وكيف يصاب نبي الله بمرض منفر مدة طويلة، تبلغ ثماني عشرة سنة - كما في بعض الروايات -؟ وكيف سيبلغ النبي دعوته للناس إذا أصيب بمرض منفر طول تلك المدة؟ هذا محال.

ورابعاً: إن سياق الآيات التي تحدثت عن أيوب ﷺ، وهي آيات الأنبياء وسورة ص-، يثبت أن الابتلاء حصل خلال النبوة؛ ذلك أنها ذكرت إحياء الله تعالى لأيوب خلال الابتلاء وبعده مباشرة ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ...﴾، والجملة بدئت بفاء التعقيب التي تفيد العطف من غير تراخ.

كما أن الله تعالى أثنى عليه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، فصار قدوة لكل المسلمين على مر الزمان في الصبر على البلاء، فهل كان مديح الله له قبل النبوة؟ هذا بعيد جداً.

ومن ناحية أخرى: فإنه لم يثبت عن الله، ولا عن رسوله - ﷺ - تحديد نوع البلاء الذي أصيب به أيوب ﷺ في جسمه، إلا أن بعض المفسرين قد فهم من الآية الكريمة ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ...﴾ أنه أصيب بنوع من الحمى الشديدة؛ إذ جعل الله سبحانه و تعالى علاجه من مرضه أن يغتسل بماء بارد، وأن يشرب منه، ومستدلين^(١) بحديث (الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء)^(٢)، والصحيح: ما ذكرناه من عدم وجود ما يدل على طبيعة مرضه، والله أعلم.

(١) انظر: قصص الأنبياء القصص الحق ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ): صحيح مسلم، ص ٥٧٢-٥٧٣، كتاب السلام - حديث رقم (٢٢٠٩).

ثالثاً: مدة البلاء:

اختلف في المدة التي مكث فيها أيوب مريضاً:

فقيل ثلاث سنين؛ وروي هذا عن وهب بن منبه؛ إذ قال: إنه - أي أيوب - ابتلي ثلاث سنين لا تزيد ولا تنقص، وفي رواية أخرى عنه قال: سبع سنين.

وروي عن أنس قال: ابتلي سبع سنين وأشهرًا، وألقي على مزبلة لبني إسرائيل... كما روي عن ابن عباس - رضي الله عنه - قوله: «سبع سنين، وسبعة أشهر، وسبعة أيام، وسبع ساعات. وقيل عشر سنين، وقيل كذلك أربعين سنة»^(١).

وقال طائفة من المحققين: أن أيوب - عليه السلام - مكث في البلاء ثماني عشرة سنة؛ وقد نسب هذا القول إلى أبي حيان في تفسيره^(٢)، ومن المعاصرين: الشعراوي والجزائري في تفسيريهما^(٣)؛ فقد ذكرا ما رواه ابن أبي حاتم بسنده، عن الزهري، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن نبي الله أيوب كان في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجالان من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله - لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين. فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله، فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب - عليه السلام - : ما أدري ما تقول، غير أن الله - عز وجل - يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي، فأكفر عنهما، كراهية أن يذكر الله إلا في حق^(٤)، قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده، حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم

(١) انظر: ابن كثير، عماد الدين إسماعيل: البداية والنهاية ج ١: ١٧٤، وتفسير القرطبي ج ١٤: ٣٦٣.

(٢) انظر: أبو حيان، أبو عبد الله محمد بن يوسف: البحر المحيط ج ٦: ٣٣٤.

(٣) انظر قصص الأنبياء محمد متولي الشعراوي ج ٢: ١١٩١، جمع المادة العلمية منشأوي غانم جابر، والجزائري، أبو بكر جابر: أيسر التفاسير ج ٣: ١٠٨٤.

(٤) قال الطحاوي: «فَكَانَ مُحَالًا أَنْ يَكُونَ مَا كَانَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ كَفَّارَةً عَنْ يَمِينٍ كَانَتْ مِنْهُمَا، أَوْ مِنْ أَحَدِهِمَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُكْفَرَ عَنْ خَالِفٍ بِيَمِينٍ غَيْرِهِ بَعْدَ حُنْثِهِ فِيهَا، وَلَا قَبْلَ حُنْثِهِ فِيهَا وَهُوَ حَيٌّ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَنَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ عَلَى كَفَّارَةِ عَنِ الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ يَصْلِحُ أَنْ يُذَكَرَ، انظر:

الطحاوي، أبو جعفر: مشكل الآثار ج ١١: ٥٣٥.

أبطأت عليه، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه: اركض برجلك هذا مغتسل بارداً وشراباً»، فاستبطأته، فتلقته بنظر، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟، والله على ذلك ما رأيت أشبه به منك إذ كان صحيحاً .

قال: فإنني أنا هو، وكان له أندران^(١)؛ أندر القمح، وأندر للشعير. فبعث الله سبحانه، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض». أخرجه ابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأخرجه أبو يعلى، وقال الضياء: إسناده صحيح، وقال الهيثمي في مجمع: رواه أبو يعلى والبخاري، ورجال البزار رجال الصحيح، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة، وصححه^(٢).

ونفى أبو بكر ابن العربي صحة الأحاديث الواردة في شأن أيوب - ﷺ - على وجه العموم، وتبعه على ذلك القرطبي . فقال ابن العربي : «وأما النبي - ﷺ - فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد، إلا قوله «بيننا أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل جراد من ذهب» الحديث»^(٣)

وقال ابن كثير: رفع هذا الحديث غريب جداً، وقال ابن حجر: وأصح ما ورد في

(١) الأندر هو البيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام بلغة الشام انظر: ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث والأثر ص ٥٢

(٢) انظر: ابن بلبان، علاء الدين علي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ج ٧: ١٥٨ - ١٥٩ حديث رقم (٢٨٩٨) و الموصلي، أحمد بن علي: مسند أبي يعلى الموصلي ج ٣: ٤٤٨ - ٤٤٩، حديث رقم (٣٦٠٥) والحاكم، محمد بن عبد الله: المستدرک على الصحيحين ج ٢: ٦٣٥ - ٦٣٦ حديث رقم (٤١١٥) والهيثمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ج ٨: ٢٠٨ و الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١: ٢٥٠ حيث قال: رواه أبو يعلى في «مسنده» (ج ١: ١٧٦ - ١٧٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣: ٣٧٤ - ٣٧٥) من طريقين عن سعيد بن أبي مريم، حدثنا نافع بن يزيد، أحب رني عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك مرفوعاً، وقال: «غريب من حديث الزهري، لم يروه عنه إلا عقيل، ورواه متفق على عدالتهم، تفرد به نافع «قلت: وهو ثقة كما قال، أخرج له مسلم، وبقية رجاله رجال الشيخين، ورواه ابن حبان في صحيحه، فالحديث صحيح» اهـ.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ \ ٢١٠ وقال بذلك د. صلاح الخالدي في كتابه (مواقف الأنبياء في القرآن) ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ..

قصته: ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير، وصححه ابن حبان والحاكم بسند عن أنس: أن أيوب.... ثم ذكر مثل ذلك.

وقال محمد أبو شهبة: والمحققون من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم - عليه السلام - إما من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، وأن ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل وافتراءاتهم على الأنبياء، والأصحية هنا نسبية، على أن صحة السند لا تنافي أن أصله من الإسرائيليات.. والإمام ابن حجر على جلالته ربما يوافق على تصحيح ما يخالف الأدلة العقلية والنقلية»^(١)

وأقول: إن حديث أنس المرفوع^(٢) هو نص في المسألة إذا ما صح، ولكن فيه ما يخالف الأدلة القطعية على عصمة الأنبياء من كل ما من شأنه التنفير منهم، كالمرض المنفر، كما أن أبا بكر ابن العربي والقرطبي قد ضعفا الحديث. و شكك المفسر المحدث ابن كثير في رفع الحديث، وتبعه أبو شهبة على تضعيفه. وبناء على ذلك فإن مدة البلاء والمرض التي تعرض لها أيوب عليه السلام ليست محددة، بل مبهمة - كما تركها القرآن الكريم ولم تحدها أحاديث نبوية صحيحة -، كما لم يحدد نوع المرض الذي أصابه عليه السلام.

رابعاً: ما نسب إلى أيوب من الشكوى:

نسبت الروايات الإسرائيلية إلى نبي الله أيوب - عليه السلام - بعض الأفعال والأقوال،

(١) أبو شهبة، محمد: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٧٩.

(٢) ونصه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن نبي الله أيوب كان في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلان من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله - لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين. فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله، فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى نكر ذلك له، فقال أيوب: ما أدري ما أقول، غير أن الله - عز وجل - يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي، فأفكر عنهما، كراهية أن يذكر الله إلا في حق، قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده، حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه: (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)، فاستبطأته، فتلقتته بنظر، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو أحسن ما كان، فلما رآته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟، والله على ذلك ما رأيت أشبه به منك إذ كان صحيحاً.

قال: فأني أنا هو، وكان له أندران؛ أندر القمح، وأندر للشعير. فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض». وقد مضى تخريجه في الصفحة السابقة.

التي تدل على جزعه، وعدم صبره على ما أصابه من بلاء، وذلك مما يتنافى مع منصب النبوة، ومع وصف القرآن له !

من هذه الروايات رواية الطبري السابقة^(١) -، التي تناقلها بعد ذلك القصاص في القديم والحديث، وفيها:

- أن أيوب وضع التراب على رأسه لما جاءه خبر مقتل أولاده .

وفي كتاب «صبر أيوب» لمؤلف معاصر نقل عن أيوب قوله: «لماذا كل ذلك يا ربي؟ لماذا جئت بي إلى هذه الحياة؟» .

لماذا لم أمت وأنا جنين في رحم أمي؟ أو لماذا لم تزهق روحي بعد خروجي من بطنها؟ لماذا يا ربي لم تجعل مصيري القبر؟^(٢) .

وقال على لسان نبي الله أيوب: «ولكنني لم أخطيء! أريد أن يخبرني الله بما اقترفته من الآثام والخطايا!»^(٣)

وقال على لسانه كذلك: «لماذا يعيش المنافقون في بسطة من العيش، وتطول أعمارهم، ويعظم اقتدارهم؟ بينما يتمرغ الطيبون والمؤمنون في الشقاق والعذاب! لماذا يا ربي؟ لماذا؟»^(٤)

أنا لا أدري من أين جاء هذا الكاتب بمثل هذا الكلام، ونسبه إلى نبي الله أيوب ﷺ؟! فلا ريب أن هذا كله مما يتنافى - كما أسلفت - مع ما ثبت للأنبياء من العصمة من الذنوب - باتفاق العلماء-، ومع ثناء الله على أيوب بصبره على البلاء، ولا سيما أن هذا الكلام المنسوب لأيوب - ﷺ - يتضمن تسخفاً لأقدار الله، واتهاماً للحق تعالى بمجانبة العدل!؟

فكيف ينسب مثل هذا الكلام لمؤمن فضلاً أن يكون نبياً يضرب به المثل في الصبر!؟

(١) انظر هذه الرواية ص ٧-١١ من البحث.

(٢) المحامي، محمد: صبر أيوب ص ٦٥.

(٣) صبر أيوب ص ٦٥-٦٦ و ٧٤.

(٤) السابق ص ٧٧.

قال أبو القاسم الأنصاري في تعليقه على ما نسب إلى أيوب من الشكوى: «ولو كان ذلك صحيحاً لا غتتمه إبليس، فإن قصده أن يحمله على الشكوى، وأن يخرج عن حلية الصابرين، والله تعالى لم يخبر عنه إلا قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ (١)

وقد روى البيهقي في (الشعب) عن سفبان الثوري (٢) قال: «ما أصاب إبليس من أيوب في مرضه إلا الأنين». (٣) والله أعلم .
خامساً: كيفية شفائه من مرضه:

ذكر القرآن كيف شفي أيوب عليه السلام من مرضه بقوله تعالى: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (ص: ٤٣)، ولأنه حلف على بعض أهله، وحتى لا يحنث جاء التوجيه القرآني: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾. هذا النص مجمل، ومع ذلك وجدنا روايات عديدة في تفسيره وتوضيحه:

منها: ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: اتخذ إبليس تابوتاً، فوقف على الطريق يداوي الناس، فأتته امرأة أيوب، فقالت: يا عبد الله؛ إن ها هنا إنساناً مبتلى، من أمره كذا وكذا، فهل لك أن تداويه؟

قال لها: نعم، على أنني إن شفيته يقول كلمة واحدة: أنت شفيتني، لا أريد منه غيرها.

فأخبرت بذلك أيوب، فقال: «ويحك! ذلك الشيطان، لله عليّ إن شفاني الله لأجلدك مائة جلدة، فلما شفاه الله أمره أن يأخذ ضغثاً فيضربها به، فأخذ شماريخ قدر مائة، فضربها ضربة واحدة». (٤)

(١) الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير ج ٢٢: ٢٠٥.

(٢) هو سفبان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد سنة ٩٧ هـ للهجرة في الكوفة وتوفي سنة ١٦١ هـ. انظر الأعلام ج ٣: ١٥٨ ووفيات الأعيان ج ١: ٢١٠.

(٣) الدر المنثور ج ٤: ٥٨٨.

(٤) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله: أحكام القرآن ج ٤: ١٦٥١ وانظر الدر المنثور ج ٥: ٥٩٠.

وروى وهب بن منبه قال: إن إبليس لقيها، فقال: إني أنا الذي فعلت بأيوب ما به، وأنا إله الأرض، وما أخذته منه فهو بيدي، فانطلقني أريك، فمشى بها غير بعيد، ثم سحر بصرها، فأراها وادياً عميقاً، فيه أهلها وولدها ومالها، فأتت أيوب فأخبرته؛ فقال: ذاك الشيطان، ويحك كيف وعى قوله سمعك؟ والله لئن شفاني الله عز وجل لأجلدَنَّك مائةً..

ومن الروايات كذلك: ما روي عن الحسن أن إبليس جاء إلى زوجة أيوب بسخلة، فقال: ليذبح لي هذه وقد برأ، فأخبرته، فحلف ليجلدنه (١).

وروى سعيد بن المسيب (٢): أنها (أي امرأة أيوب) جاءت به بزيادة على ما كانت تأتية به من الخبز، فخاف خيانتها، فحلف ليضربنها (٣).

ومنها: «أن الشيطان ظهر للسيدة رحمة (يقصد زوجة أيوب) على شكل رجل، وأنه حدثها عن أيوب، ولكنهم اختلفوا (أي المفسرون والمؤرخون) في الشكل الذي ظهر به الشيطان على شكل ملاك (٤)، وسبب عزمه على ضرب زوجته - كما يروون -

فروى بعضهم: أنه طلب منها أن تسجد له فيشفي زوجها...» (٥).

هذه الروايات ليس عليها دليل، بل إن القرآن يردّها، فالله تعالى يقول عن الشيطان: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (النحل: ٩٩-١٠٠).

وفال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ ﴾ (سبأ: ٢١) وقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (الحجر: ٤٢)؛ فالشيطان ليس له سلطة على الإنسان عموماً إلا بالوسوسة كما ذكر المفسرون.

(١) الماوردي، النكت والعيون ج ٣: ٤٦١

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن القرشي، أبو محمد سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ولد عام ١٣ هـ وتوفي بالمدينة سنة أربع وتسعين من الهجرة. انظر الوفيات ج ١: ٢٠٦.

(٣) السابق ج ٥: ١٠٣ وانظر الشوكاني ج ٤: ٤٣٦.

(٤) غلب على بعض المعاصرين استعمال (ملاك) ويقصد به (ملك) والصحيح أنه ملك بدون زيادة الألف.

(٥) صبر أيوب ص ١٠٧-١٠٨.

والآية الكريمة بينت لنا كيف تم علاج أيوب عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾، والظاهر أن المرض الذي أصاب أيوب عليه السلام كان في غاية الشدة والألم، وليس ذلك بغريب؛ فإن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل.

والقرآن ذكر أن أيوب أمر أن يضرب برجله عين الماء فيغتسل ويشرب منه، ولم يبين لنا طبيعة المرض الذي أصابه، فنسكت عما سكت عنه القرآن - كما سبق أن ذكرنا.

سادساً: تعويض الله على أيوب أهله وماله

ذكر الله تعالى أنه رد على أيوب أهله، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

وقد اختلف المفسرون، ومن كتب في قصص الأنبياء كيف رد الله على أيوب عليه السلام أهله وماله، وذلك تبعاً لرأيهم وروايتهم فيما أصاب أبناء أيوب وأهله.

أقوال العلماء في مسألة رد الله عز وجل على أيوب أهله

القول الأول: رأى بعضهم أن أبناءه مرضوا، ومن ثم فإتيانه أولاده كان بأن شفاهم الله من مرضهم.

القول الثاني: أنهم غابوا عنه فردهم الله عليه؛ أي أعادهم من غيبتهم، روى هذين القولين ابن بحر^(١).

القول الثالث: يرى أنهم ماتوا، وأن الله تعالى ردهم إليه. ومن ثم كان هناك خلاف بين المفسرين في كيفية هذا الرد.

أقوال العلماء في كيفية رد الله تعالى عليه أولاده بناء على القول بموتهم

القول الأول: رأى بعضهم: أنه رد عليه ثوابهم في الجنة، وهب له مثلهم في الدنيا، ونسب هذا القول إلى السدي.

(١) انظر: النكت والعيون ج ٥: ١٠٢.

القول الثاني: قيل: إنه رد عليه أهله في الجنة، وأصاب امرأته فجاءته بمثلهم في الدنيا^(١)

القول الثالث: روى الإمام الطبري وغيره: أن الله تعالى أحيا له أبناءه وبناته الذين ماتوا، وأرجع لزوجته جمالها وشبابها، وهب له ضعف ما كان يملك من قبل. وبه قال البقاعي والنيسابوري والسعدي في تفاسيرهم، وغيرهم^(٢).

روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ قال: أهله بأعيانهم.

وروي مثله عن مجاهد والحسن وقتادة، حيث قالوا: أحياهم بأعيانهم، ورد إليه مثلهم. ومن عجب أن إمامين من أصحاب المدرسة العقلية قالوا بهذا القول، وهما الرازي والزمخشري^(٣)، كما قال به النسفي (٧١٠ هـ)^(٤)، والقرطبي؛ حيث نفل هذا الأثر عن الضحاك^(٥)، عن ابن مسعود قال: مات أولاده؛ وهم سبعة من الذكور وسبعة من الإناث، فلما عوفي نشروا له، وولدت امرأته سبعة بنين وسبع بنات... ثم قال: وهذا القول أشبه بظاهر الآية^(٦).

وأرى أن هذا الأثر دخيل ضعيف؛ لأنه يخالف أصلاً ثابتاً من أصولنا، وهو إن الإنسان إذا مات لا يرجع إلى الدنيا، إلا ما كان من معجزة المسيح عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ

(١) السابق.

(٢) انظر الطبري ج ١٠ ص ١٧: ٩٦ و البقاعي، برهان الدين: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج ٦: ٢٨٩، والنيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد: غرائب القرآن و رغائب الفرقان ج ٥: ٦٠٢ و السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٦٠ و الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير ج ٢٢: ٢١٠ و محمد المحامي، صبر أيوب ص ١١٤.

(٣) انظر الطبري ج ١٧: ٩٤ و تفسير الرازي ج ٢٢: ٢١٠ و الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشف ج ٢: ٥٨١ و الدر المنثور ج ١٠: ٣٣٩.

(٤) انظر النسفي، عبد الله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج ٢: ٩٧-٩٨.

(٥) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم مفسر كان يؤدب الأطفال، توفي سنة مئة وخمسة للهجرة بخراسان. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال ج ١: ٤٧١ و الزركلي، الأعلام ج ٣: ٣١٠.

(٦) القرطبي ج ٤: ٢٦١-٢٦٢.

كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٩﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠).

ومن ناحية أخرى فإن هذا الأثر ضعيف سنداً؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «إسناده منقطع»^(١)، وقال الحافظ ابن حجر: عن الضحاك: «وقيل لم يثبت له سماع عن أحد من الصحابة»^(٢)

ولو أراد تعالى ما قاله أولئك لقال: وأحيينا له أهله، ووهبنا له مثلهم، والله أعلم.

وفي الحقيقة أنه لم يتقدم في هذه الآية، ولا في آية سورة الأنبياء، ولم يرد حديث صحيح يدل على أن أيوب رزئ أهله، ومن ثم يكون معنى الآية ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾: أن الله تعالى أبقى له أهله فلم يصب فيهم بما يكره، وزاده بنين وحفدة.

أو يكون المعنى: وجمعنا شمله بأهله الذين تفرقوا عنه أيام محنته، وزدنا عليهم مثلهم، بأن قواه الله ومتعته بالصحة والمال حتى كثر نسله، وصار أهله ضعف ما كانوا وأضعاف ذلك، ولا مانع أن يكون من هبة الله له أن حبه إلى الناس من غير أهله فتقربوا منه، وصاروا كأهله^(٣).

وروى بعض المفسرين^(٤): «أن الله تعالى لما أذهب عن أيوب ما كان به من الأذى أنزل عليه ثوبين أبيضين من السماء، فاتزر بأحدهما، وارتدى بالآخر، ثم مشى إلى منزله...»

وهذا الخبر لم يُسند من قبل المفسر؛ فلا نستطيع قبوله.

(١) مجمع الزوائد ج ٧: ٦٧.

(٢) التهذيب ج ٢: ٢٢٦.

(٣) انظر: الخطيب، عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن ج ١٢: ١٠٩٦، وابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير ج ٢٣: ٢٧١-٢٧٢، والجزائري، أبو بكر جابر: أيسر التفاسير ج ٤: ١٥٢٨ وعباس، د. فضل حسن: قصص القرآن الكريم ص ٦٧٣ - الحاشية.

(٤) حقي، إسماعيل: روح البيان ج ٨: ٣٤.

المطلب الثاني

الأثار المترتبة عن إذاعة وإشاعة الأخبار الإسرائيلية في تشويه

صورة الأنبياء عموماً ونبي الله أيوب على وجه الخصوص

لقد كان للإسرائيليات التي أخذها المسلمون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيئ في التفسير. ولم يقف الأمر على ما كانوا عليه في عهد الصحابة، فالذين جاؤوا من بعدهم زادوا على ذلك ورددوا كل ما قيل لهم من روايات من غير تمحيص. ودخل في التفسير كثير من القصص الخيالي المخترع؛ مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها؛ لاعتقاده أن الكل من باب واحد. (١)

وفي الحقيقة: فإن الكثيرين من هذه الإسرائيليات قد وضعوا العراقييل أمام المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما زوروه من أخبار مكذوبة وقصص لا تصح بحال. وكان من نتيجة هذه الإسرائيليات أن شوهت صورة طائفة غير قليلة من الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه. ومن أنبياء الله الذين شوهت صورتهم بتلك الإسرائيليات داود وابنه سليمان عليهما السلام. فحول ما جاء في سورة ص بشأن داود -عليه السلام- من آيات وجدنا قصصاً مختلفة، ألصقت به في التفاسير. فقد قال سبحانه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَارُوا بِالْمِحْرَابِ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نَجْمِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَتْهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ، ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَازْلَمَىٰ وَحَسَنَ مَّكَابٍ ﴿٢٥﴾﴾ (ص: ٢١-٢٥)

(١) انظر الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون ص ١٧٨-١٧٩.

فقد ذكرت الإسرائيليات وأساطير العهد القديم تفصيلات باطلة مكذوبة، يقولون فيها: أنه رأى داوود امرأة قائده (أورية)، وكان لداوود تسع وتسعين زوجة، فصعد إلى السطح، ورأى امرأة قائده؛ فوقعت في قلبه؛ فأرسل زوجها إلى الحرب ليموت فيتزوجها هو، فحصل. وصار له مئة زوجة فأنزل الله ملكين في صورة خصمين يعاتبانه بشأنها^(١)، فانتهبه داوود للمسألة التي وقع فيها؛ فاستغفر ربه. هذا ما تذكره الإسرائيليات، وهي أكاذيب باطلة، نبريء نبي الله داود - ﷺ - منها، ولا يجوز ذكرها إلا من باب التحذير منها .

والذي دفع أولئك المفسرين إلى نقل هذه الرواية الإسرائيلية قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتْنَتْهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾! وقد بين العلماء أن الذنب الذي وقع به داود ﷺ هو أنه حكم حكماً خارجاً عن طريقة الحكم الصحيحة؛ لأنه لم يستوف أركان الحكم. كيف؟:

أولاً: فزع داوود من الخصم ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ والقاضي لا يصح أن يحكم بالفزع، ولا بد أن يكون آمناً حتى يحكم، وحكم القاضي لا يجوز إذا كان خائفاً.

ثانياً: إن داوود استمع إلى خصم واحد ولم يستمع للآخر ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ وهذا لا يجوز في الحكم، ومخالف لأركان الحكم. وقد قيل في الحكم: أن إذا جاءك شخص قُلت عينه فلا تحكم حتى ترى الآخر؛ فربما قُلت كلتا عينيه. ثالثاً: لم يسأل عن البيّنة، وإنما حكم مباشرة: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾، فهل يجوز أن يحكم أحد بلا بيّنة؟ فداوود حكم في حالة خوف، وسمع لخصم واحد، ولم يسأل عن البيّنة؛ فهل يجوز هذا في الحكم؟ وأظن أن الله تعالى أراد أن يُعلم داوود أصول الحكم الصحيح،

(١) انظر هذه الرواية بالتفصيل في تفسير الطبري م ١٢ ج ٢٣ \ ١٧٨ - ١٨١ وتفسير القرطبي ج ١٥ \ ١٦٦ -

وقد جعله خليفة ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ولهذا استغفر داوود ربه .

وفي شان سليمان - ﷺ - وجدنا كذلك بعض المفسرين قد نقل روايات إسرائيلية ليفسر بها الآيات القرآنية التي تحدثت عن سليمان . فعند قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (ص : ٣٤-٣٥) كان السؤال : كيف كانت فتنة سليمان - ﷺ - ؟ وما هو الجسد الذي ألقاه الله على كرسيه ؟

تحدثت الإسرائيليات المكذوبة الباطلة عن اتهامات فاجرة لسليمان - ﷺ - .

تقول تلك الإسرائيليات : وافق سليمان امرأته الكافرة على الكفر بالله، وصنع لها صنماً^(١)، ووضعه في قصره لتعبده من دون الله ! فعاقبه الله على ذلك ! وكان يحكم الجن والشياطين بخاتمه السحري، فأذن الله للشيطان المارد أن يتزيا بزيه، فأخذ الخاتم منه، واستلم الحكم منه .

وبقي على هذا عدة أسابيع، ثم عاد له الحكم بعد ذلك، بعد أن استخرج خاتمه من بطن سمكة، ثم وضع المارد في صندوق، وألقاه في قعر البحر !!^(٢)

هذه رواية باطلة قطعاً، لا نجيز تفسير كتاب الله بها، ونبريء نبي الله سليمان - ﷺ - منها . ويمكن تفسير الآية بالحديث الصحيح الوارد عن رسول الله - ﷺ - ؛ ففيه تفسير الجسد الملقى على كرسى سليمان - ﷺ - ولعله هو المارد بالفتنة المذكورة في الآية .

روى البخاري عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - ﷺ - قال : «قال سليمان بن داود

(١) ذكرهذه الرواية الطبري في تفسيره م ١٢ ج ٢٣ \ ١٧٨ - ١٨٠ والقربطبي ج ١٥ \ ١٦٦ - ١٦٨ والبيضاوي ج ٥ \ ٢٩٠ - ٣٠٠ .

(٢) انظر المراجع السابقة ومواقف الأنبياء في القرآن ص ٣١٣ .

-عليهما السلام- : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، كلهم تأتي بفارس، يجاهد في سبيل الله! فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله.

فلم تحمل أي منهن شيئاً، إلا واحدة، حملت واحداً، أحد شقيه ساقط.

فقال النبي -ﷺ-: «لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله». وفي رواية «جاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

والفتنة التي وقع فيها سليمان: أنه لم يقل إن شاء الله، فلم تحمل من النساء إلا امرأة، حملت بجنين مشوه، ولما وضعته ولدته ميتاً، وكان شق إنسان، فوضعت له على كرسية، ولعله هو الذي أشارت إليه الآية: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾.

ما ألصق بأيوب عليه السلام من افتراءات :

لقد نسبت إلى نبي الله أيوب - عليه السلام - افتراءات، فنسبت لشخصيته أموراً قبيحة هو منها براء، شوهدت صورته، وللأسف فإن بعض الكتاب ينقل مثل هذه الروايات كأنها مسلمات!

فمن ذلك: أنه كان مريضاً مرضاً منفراً حتى ألقى - كما تدعي بعض الروايات - على مزبلة، وتخلى عنه القريب والبعيد إلا رجلين من أصحابه!

ومن ذلك: أنه لما وقع في البلاء وفقد ماله وأهله - كما تدعي الروايات - جزع جزعاً شديداً، حتى وضع التراب على رأسه ^(١)! وهذا أمر سبق لي أن ذكرت أنه باطل ومما يتنافى مع عصمة الأنبياء عليهم السلام.

(١) انظر هذه الرواية ص ٧-١١ من البحث.

المطلب الثالث

قصة أيوب عليه السلام من خلال تفسير آيات الأنبياء وص

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿ (الأنبياء: ٨٣-٨٤)

والمعنى: واذكر يا محمد نبي الله أيوب مثنياً ومعظماً له، رافعاً لقدره حين ابتلاه ببلاء شديد، فوجده صابراً راضياً عنه، فنادى ربه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾: أي نالني في بدني ضرر، وفي مالي وأهلي، ولعل التعبير عما أصابه بالمس - وهو الإصابة الخفيفة - لبيان ما كان عليه أيوب في دعائه من الأدب مع الله تعالى.

ثم قال أيوب: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، والظاهر أن أيوب - والله أعلم - لم يدع ربه برفع البلاء عنه، وذلك صبراً منه على البلاء، إذ أنه كان مطمئناً إلى علم الله بالحال، وهذا يغني عن السؤال، أو أنه عرض بكشف الضر عنه من دون سؤال؛ فجعل وصفه بما يقتضي الرحمة له، ووصف ربه بالأرحم تعريضاً بسؤاله كما قال أمية بن أبي الصلت:

إذا أثنى عليك المرء يوماً
كفاه عن تعرضه الثناء

ولكون ثناء أيوب تعريضاً بالدعاء فرَّع عليه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ﴾ والسين والتاء في ﴿فَاسْتَجَبْنَا﴾ للمبالغة في الإجابة. فأمره الله بقوله: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ (ص: ٤٢) أي: اضرب بها الأرض، فضربها؛ فنبعت من تحت رجله عين الماء^(١)، فقلنا له: هذا النابع من العين إذا اغتسلت به وشربت منه، برئت من الأمراض، ففعل ما أمرناه به، فبريء بإذننا من كل داء، ثم بين تعالى أنه من فضله

(١) رأى بعض المفسرين أنه نبعت له عينان: عين للشرب وأخرى للاغتسال، ولا دليل لهم على ذلك. انظر: ابن جزى، محمد بن أحمد: التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣: ٦٦ و البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر: تفسير البيضاوي ضمن: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ج ٨: ١٠٦.

وكرمه لم يكتف بمنح أيوب الشفاء من مرضه، بل أضاف إلى ذلك بقوله ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾: أي: وهبنا له أهله، وهبنا له ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ أي بأن رزقناه بعد الشفاء أولاداً ضعفاً ما كان عنده من أولاد قبل شفائه، فصار عددهم مضاعفاً^(١).

وذلك كله ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ أي: من أجل رحمتنا به، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ أي: جعلناه عبرة للعابدين الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء ثم ما أتاه الله بعد زواله، ونظروا السبب وجدوه الصبر.^(٢)

وقال تعالى في سورة ص: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤١-٤٤)

والمعنى: واذكر يا محمد في باب الابتلاء وحسن عاقبة الصبر عليه ﴿عَبْدَنَا﴾ أي: الكامل في تحقيق العبودية ﴿أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ أي: حين دعاه وابتهل إليه قائلاً: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾ أي: أصابني ﴿الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ بضم النون وسكون الصاد أو بفتحها على النون والصاد كالرشد والرشد وقرئ كذلك بضم النون وفتحها، والنصب هو المشقة والتعب، والعذاب هو الألم الشديد.

ونسب أيوب عليه السلام -النصب والعذاب إلى الشيطان، ولعل هذه النسبة - كما يقول ابن العربي - هي التي دفعت وجرأت بطائفة من المفسرين إلى ذكر حكايات وقصص إسرائيلية تبين مدى تسلط الشيطان على أيوب - بزعمهم. على حين رأى بعض المحققين أن نسبة المس إلى الشيطان مجازي، وهو من قبيل الأدب مع الله تعالى؛ لأن الله

(١) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير ج ١٧: ١٢٦-١٢٧ والسعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٢٩ و طنطاوي، محمد: القصة في القرآن الكريم ص ٧٠٩-٧١٠.

(٢) انظر المراجع السابقة.

سبحانه خالق كل شيء .

قال الزمخشري: «فإن قلت لم نسب المس إلى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من أتعابهم وتعذيبهم وطره؟

قلت: لما كانت وسوسته إليه، وطاعته له فيما وسوس، سبباً فيما مسه الله به من النصب والعذاب، نسبه إليه، وقد راعى الأدب في ذلك فلم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو». (١)

ورأت طائفة - كما أسلفت - أن مس الشيطان لأيوب حقيقي، وفسروا ذلك المس بما أصاب أيوب من مرض من الشيطان فعلاً - كما مر معنا في الروايات والأقوال المتنوعة في ذلك، وقد سبق أن بينا ضعف هذه الروايات فلا يعول عليها. (٢)

والحقيقة: أنه يمكن أن تكون نسبة المس إلى الشيطان حقيقية؛ بأن نحمل الباء في الآية على السببية؛ فيكون المعنى: أني مسني الشيطان بوسواس سببه نصب وعذاب، فجعل الشيطان يوسوس إلى أيوب بتعظيم النصب والعذاب عنده، ويلقي إليه أنه لم يكن مستحقاً لذلك العذاب؛ ليلقي في نفسه سوء الظن بالله، أو التسخط على أقداره.

وإذا حملت الباء على المصاحبة يكون معنى الآية: أني مسني الشيطان بوسوسة مصاحبة لضر وعذاب، وفي هذا كناية لطيفة عن طلب لطف الله به برفع النصب والعذاب عنه (٣)؛ لأنهما صاراً مدخلاً للشيطان إلى نفسه، فطلب العصمة من ذلك على نحو قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَالْأَلَّا تَصْرَفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣) (٤)

وتنوين ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ للتعظيم. أي بنصب وعذاب عظيم.

وقوله تعالى: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ...﴾ مقولة لقول محذوف تقديره: قلنا له: اركض

(١) الزمخشري،: الكشف ج ٣: ٢٧٦.

(٢) انظر ذلك ص ١٣-١٥ من البحث.

(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير ج ٢٣: ٢٦٩-٢٧٠.

(٤) انظر السابق

برجلك... وهو جواب الحق تعالى عما سأله أيوب، ولم يفصل بين السؤال والجواب فاصل؛ للإشارة إلى أن الإجابة كانت متصلة بالسؤال والطلب من غير تراخ... فما هو إلا أن سأل حتى وجد ما طلب حاضراً...

وهذا يشير إلى أن أيوب مكث زمناً طويلاً لا يشكو، فلما شكا أزال الله شكاته... وقد سمى الله ذلك استجابة في سورة الأنبياء قال سبحانه: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ﴾.

والركض هو الضرب بالرجل، فقوله ﴿بِرَجْلِكَ﴾ زيادة في بيان معنى الفعل، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ (الأنعام: ٣٨).

وجملة: ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ مقولة لمقول محذوف دل عليه القول الأول، كما أن في الآية حذفاً تقديره: «فركض الأرض، فنبع ماء، فقلنا له: هذا مغتسل بارد وشراب». والإشارة بقوله ﴿هَذَا﴾ قد تكون إلى عين، أو نهر، أو نحوهما، وظاهر اللفظ يدل على أنه نبعت عين واحدة، وليستا عينين^(١).

ووصف الماء بذلك في سياق الثناء عليه مشيراً إلى أن ذلك الماء فيه شفاؤه إذا اغتسل به وشرب منه.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي أبقينا له أهله فلم يُصب فيهم بما يكره^(٢)، وزاده بنين وحفدة، ويحتمل المعنى: جمعنا له أهله بعد تفرقهم - عند المحنة -، وزدنا عليهم مثلهم، وفعلنا ذلك رحمة منا له، وعظة لأولي العقول ليعرفوا أن عاقبة الصبر الفرج. ولعل المعنى الأول أقرب^(٣).

(١) وبذلك قال طائفة من المفسرين مثل ابن جزى والبيضاوي انظر: ابن جزى الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣: ٦٦ و تفسير البيضاوي الموجود في: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ج ٨: ١٥٦.

(٢) سبق أن ذكرت أنه لم يرد دليل صحيح يثبت أن أهل أيوب قد فقدهم أو رزئهم.

(٣) انظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب ج ١٦: ٤٣٠، وتفسير القاسمي م ٨ ج ١٤: ١٧٤، وتفسير التحرير والتنوير ج ٢٣: ٢٧١، وتفسير الألووسي ج ١٢: ١٩٨. والتفسير القرآني للقرآن ج ١٢: ١٠٩٥ - ١٠٩٦ والزحيلي، وهبة مصطفى: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ج ٢٣: ٢٠٦ و عباس، فضل حسن: قصص القرآن الكريم ص ٦٧٣.

وتقدم نظير هذه الآية، وهو قوله سبحانه: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣-٨٤)

مقارنة بين آيات الأنبياء وآيات ص:

هناك تشابه بين آيات الأنبياء وص، فهما من المتشابه اللفظي في القرآن، إلا أن هناك اختلافاً يسيراً بينهما.

فآية الأنبياء ذكرت الرحمة بأنها من عند الله بقوله ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ وفي آية ص كانت: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾؛ وذلك لأن أيوب بالغ في التضرع في الأنبياء بقوله ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ فبالغ سبحانه في الإجابة، وقال: رحمة من عندنا؛ لأن عند حيث جاء دل على أن الله تعالى تولى ذلك من غير واسطة. (١)

كما نلاحظ أن هذه الآية ختمت بقوله ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، وفي آية الأنبياء كان الختم بقوله ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾، فلماذا كان هذا التغير في الفاصلة القرآنية مع تشابه موضوع الآيتين؟.

فأما قوله هنا ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فإن الذكرى التذكير بما خفي، وأولوا الألباب هم أهل العقول؛ والمعنى: تذكرة لأهل النظر والاستدلال؛ فإن في قصة أيوب مجملها ومفصلها ما إذا سمعه العقلاء المعتبرون بالحوادث استدلوا على أن صبره قدوة لكل مبتلى ينتظر الفرج، وكان النبي - ﷺ - والمسلمون مأمورين بالاعتبار بها، فأشير إليهم بأولي الألباب.

وأما الذي في سورة الأنبياء فإنه جيء به شاهداً على أن النبوة لا تنافي البشرية، وأن الأنبياء يعترهم من الأحداث ما يعترى البشر مما لا ينقص منهم في نظر العقل والحكمة، وأنهم إنما يقومون بأمر الله، وذكر تعالى في السورة من الأنبياء من ابتلي من قومه فصبر، وكيف كانت عاقبة صبرهم واحدة مع اختلاف الأسباب الداعية إليه؛

(١) انظر: الكرمانى، محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن ص ١٨٣.

فكانت في ذلك آيات للعابدين، أي الممتثلين أمر الله المجتنبين نهيه؛ فإن مما أمر الله به الصبر على ما يلحق المرء من ضر لا يستطيع دفعه، فختم بقوله: (إن في ذلك لآيات للعابدين).^(١)

وقوله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ ۚ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص: ٤٤)

تقدير الآية: وقلنا خذ بيدك ضغثاً.....). والضغث هو قبضة الحشيش المختلطة الرطب باليابس، والآية تشير إلى أنه حلف في حالة غضب أن يضرب حبيباً له عدداً معيناً، وقد أمره الله عز وجل أن يبر بيمينه، فيضرب من حلف على ضربه بهذه القبضة مكافأة له على صبره وإحسانه؛ لأنه لو ضربه بسوط أو نحوه لآلم ذلك الضارب والمضروب. علل الله سبحانه ذلك بقوله: (إننا وجدناه صابراً) أي: على بلائه، فنعم الموصوف بالعبادة هو؛ لأنه رجّاع إلى الله في كل الأمور.^(٢)

المطلب الرابع

الأحاديث الصحيحة والأقوال المأثورة في شأن أيوب عليه السلام

إذا كنا نرفض الضعيف من الأحاديث، أو الآثار، أو الأخبار في تفسير قصة أيوب، فإنه ينبغي أن نبحث عن الصحيح مما ورد من الأحاديث أو الآثار، وفي الآثار التي لاتخالف شيئاً من شريعتنا، أو تخالف العقل والمنطق^(٣)، وننظر فيه، ونحمل الآيات عليه، وهذه طائفة من تلك الأحاديث والآثار، غير ما سبق ذكره في تفسير الآيات.

روى البخاري وأحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب - عليه الصلاة والسلام - يحثو في ثوبه، فناداه ربه عز وجل: يا أيوب ألم أكن أعنيك عما ترى؟

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير ج ٢٣: ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) انظر: شيبية الحمد: قصص الأنبياء القصص الحق ص ١٩٦-١٩٧، والتحرير والتنوير ج ٢٣: ٢٧٣.

(٣) استبعدت من الآثار ما فيه مخالفة للعقل والمنطق كمن روى من السلف عن إبليس أقوالاً؟!.

قال عليه السلام: بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن بركتك» (١)

ولعل تخصيص الجراد هنا بأن يخر على أيوب -عليه السلام- وذلك لكثرة، والله أعلم.

وعن عبد الرحمن بن أبي أزيى قال: قال نبي الله داود -عليه السلام-: كان أيوب أصبر الناس، وأحلم الناس، وأكظمه للغيظ» (٢).

وروى أحمد بسنده عن الحسن قال: «كان أيوب عليه السلام كلما أصابته مصيبة قال: اللهم أنت أخذت وأنت أعطيت، ومهما تبقى نفسي أحمدك على حسن بلائك» (٣)

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: «وألبس الله حلة من الجنة فتنحى أيوب، وجلس في ناحية، وجاءت امرأته فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله هذا المبتلى الذي كان ههنا لعل الكلاب ذهب به، أو الذئب، وجعلت تكلمه ساعة، قال: ولعل أنا أيوب. فقالت: أتسخر مني يا عبد الله؟ قال: ويحك أنا أيوب قد رد الله علي جسدي» (٤)

وأخرج أحمد في الزهد والبيهقي في (الشعب) عن مجاهد (٥) قال: «يؤتى بثلاثة يوم القيامة: بالغني، والمريض، والعبد المملوك، فيقال للغني: ما منعك من عبادتي؟ فيقول: يا رب، أكثرت لي من المال فطغيت، فيؤتى بسليمان عليه السلام - في ملكه فيقول: أنت كنت أشد شغلاً من هذا؟ فيقول: لا، بل هذا. قال: فإن هذا لم يمنعه ذلك أن عبدني.

ثم يؤتى بالمريض فيقول: ما منعك من عبادتي؟ فيقول: شغلت على جسدي، فيؤتى بأيوب في ضره، فيقول: أنت كنت ضراً (أي أكثر ضراً ومرضاً) من هذا؟

قال: لا، بل هذا. قال: فإن هذا لم يمنعه ذلك أن عبدني.

ثم يؤتى بالمملوك، فيقول: ما منعك من عبادتي؟ فيقول: يا رب، جعلت علي أرباباً

(١) انظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح ج ٤: ٢٩٦ كتاب التوحيد - باب قول الله عز وجل: (يريدون أن يبدلوا كلام الله).

(٢) كتاب الزهد ص ١٢٦.

(٣) السابق ص ١٣٠.

(٤) البداية والنهاية ج ١: ١٧٥ و تفسير ابن أبي حاتم ج ٨: ٢٤٦١.

(٥) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، ولد سنة إحدى وعشرين للهجرة، تابعي مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، يقال: أنه مات وهو ساجد، سنة أربع ومائة للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء ج ٤: ٤٤٩ - ٤٥٥.

يملكوني. فيؤتى بيوسف في عبوديته، فيقول: أنت كنت أشد عبودية أم هذا؟ قال: لا، بل هذا. قال: فإن هذا لم يمنعه أن عبدني»، والله أعلم. (١)
وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: «أيوب رأس الصابرين يوم القيامة». (٢)

المطلب الخامس

الفوائد والعبر في قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَام

قال تعالى في شأن قصص الأنبياء والمرسلين: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ (يوسف: ١١١)

وقصة أيوب من تلك القصص، ففيها عبر ودروس للمسلمين على مر الزمان، فمن دروسها:

- أن فيها تسلية للنبي ﷺ، والمسلمين في ظروف الدعوة، كما فيها تلقين مستمر المدى في كل ظرف.
- إن داود و سُلَيْمَانَ - عليهما الصلاة والسلام - كانا ممن أفاض الله عليهما أصناف الآلاء والنعماء، وأيوب كان ممن خصه الله تعالى بأنواع البلاء. والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار؛ كأن الله تعالى قال: يا محمد، اصبرْ على سفاهة قومك؛ فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمة ومالاً وجاهاً أكثر من داود وسليمان، وما كان أكثر بلاءً ولا محنة من أيوب.
- فتأمل في أحوال هؤلاء؛ لتعرف أن أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد، وأن العاقل لا بد له من الصبر على المكروه (٣).

- إن البلاء لم ينج منه الأنبياء، بل هم أشد الناس ابتلاء؛ كما في الحديث عن سعد

(١) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: شعب الإيمان ج٧: ٢٠٢-٢٠٣ - باب في الصبر على المصائب - فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات. وانظر: الدر المنثور ج١٠: ٣٥٠-٣٥١.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير ج٤: ٤٤٠.

(٣) انظر اللباب في علوم الكتاب ج١: ٤٣٢٥.

بن أبي وقاص رضي الله عنه - قلت: أي الناس أشد بلاءً؟ فقال الرسول ﷺ: (الأنبياء، ثم الأمتل فالأمتل) (١).

- «إن أنبياء الله وأصفياه إذا ابتلوا في شيء من أنفسهم أو أموالهم ضرعوا إلى الله، وبسطوا إليه أكفهم، وولوا إليه وجوههم، وطرقوا أبواب رحمته بالدعاء والرجاء، فباتوا على أمن من كل خوف، وعلى طمع ورجاء من كل خير» (٢).

- ومنها: أن من آداب العبودية إجلال الربوبية وإعظامها عن إحالة الضر والبلاء والمحن عليها، لا على الشيطان، كما قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ (يوسف: ١٠٠) وقال تعالى على لسان فتى موسى: ﴿وَمَا أُنسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ (الكهف: ٦٣) وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام لما قتل القبطي: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (القصص: ١٥). (٣)

- وإن من أسباب الفرج: دعاء الله تعالى، والابتغال إليه والتضرع له، وذكره بأسمائه الحسنی وصفاته العليا.

- ومن العبر: أن البلاء لا يدل على الهوان والشقاء؛ فإن السعادة والشقاء في هذا العالم لا يترتبان على صالح الأعمال وسيئها؛ لأن الدنيا ليست دار جزاء، بل دار امتحان واختبار.

- ومنها: أن عاقبة الصدق في الصبر هي توفية الأجر ومضاعفة البر، كما حصل مع أيوب عليه السلام، حيث رد الله عليه أهله، ورزقه عدة أولاد، ورزق مالا كثيرا كما صحت بذلك الرواية.

- وفي تحلة اليمين التي أذن الله بها لأيوب حتى لا يحنث، أو يضرب من يحب، دليل على أن الله يسمح لعباده أن يتوسلوا بوسيلة مشروعة تنقدهم مما قد يواجهونه من محرجات ومشاكل.

(١) رواه ابن ماجة انظر: ابن ماجة القزويني، أبو عبد الله محمد بن زيد: سنن ابن ماجة ج ٤: ١٩٠، كتاب الفتن - باب الصبر على البلاء، حديث رقم (٤٠٢٣).

(٢) التفسير القرآني للقرآن م ٣: ٩٢٣.

(٣) انظر حقي، إسماعيل: روح البيان ج ١٢: ١٧١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله الأبرار، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين، وبعد.

فإن هذه الجولة الممتعة في سيرة نبي الله أيوب - ﷺ -، ما كان منها حقيقياً، وما أضيف إلى سيرته - وهو - بعيد عنه -، تعطينا مجموعة من الدروس والنتائج التالية:

١ - أن الأنبياء والرسل - عموماً - معصومون من الذنوب، ومن أي عارض أو صفة منفرة عن دعوتهم.

٢ - أن ما روي من الروايات والقصص التي تنسب إلى الأنبياء عامة، ونبي الله أيوب خاصة من أمراض وأسقام منفرة، جعلت الناس - كما تقول الروايات - تنفر منه، هذه روايات وقصص باطلة مردودة عند جمهور العلماء والمفسرين.

٣ - لسنا مضطرين إلى تفصيل ما أجمل من القصص القرآني، سواء أكان عن أيوب ﷺ، أو غيره من الأنبياء والمرسلين، إلا بتفصيل من القرآن أو السنة الثابتة.

٤ - إدعاء تسلط الشيطان على أيوب، وماله، وأهله، ليس عليه دليل صريح من القرآن أو حديث صحيح يشهد بذلك، بل يرد ذلك نصوص القرآن الكريم الكثيرة.

٥ - في قصة أيوب من العبر والدروس للمؤمنين - على مر الزمان - في الصبر والرضا بقضاء الله ما فيه أكبر الفائدة لهم.

٦ - كل ما سبق يرشدنا إلى ضرورة تخليص التفسير القرآني من الانحرافات والإسرائيليات والتفاسير الخاطئة، وإصدار أعمال تفسيرية جديدة خالية من الإسرائيليات والأفكار الأجنبية المنحرفة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، دار صادر - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، ط الثالثة - ١٩٨٣م.

البجاوي، علي محمد، ومحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل والسيد شحاته: قصص القرآن، دار الفكر، د.ت.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري بشرح السندي، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

والضعفاء، مكتبة ابن عباس، الطبعة الأولى ٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

البروسوي، إسماعيل حقي: روح البيان، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

البقاعي، برهان الدين: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب، دار الكتب العلمية - بيروت، ٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

ابن بلبان، علاء الدين علي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: شعب الإيمان، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق محمد السعيد، ١٩٩٠م.

الثعالبي، عبد الرحمن: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق أبو محمد الغماري، دار الكتب العلمية، ط أولى - ٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد: التعريفات، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م.

الجزائري، أبو بكر جابر: أيسر التفاسير، المكتبة العصرية، ٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

الجوهري، إسماعيل حماد: الصحاح، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ثانية - ٣٩٩هـ: ١٩٧٩م.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله: المستدرک علی الصحیحین، دار الکتب العلمیة، ۱۹۹۰ م.

ابن أبی حاتم، عبد الرحمن بن محمد: تفسیر القرآن العظیم المسمی بتفسیر ابن أبی حاتم، تحقیق أسعد الطیب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ثانية - ۱۹۹۰ هـ - ۱۹۹۹ م.

حجازي، محمد محمود: التفسیر الواضح، دار الجیل الجدید، د.ت.

حقی، إسماعیل: روح البیان، دار إحياء التراث العربی، د.ت.

أبو حیان، أبو عبد الله محمد بن یوسف: البحر المحیط

الخالدی، د. صلاح عبد الفتاح: مواقف الأنبياء في القرآن، دار القلم - دمشق، ۱۹۳۱ هـ - ۲۰۱۰ م.

الخطیب، عبد الکریم: التفسیر القرآنی للقرآن، دار الفكر العربی - القاهرة، د.ت.

ابن خلکان، شمس الدین أبو العباس أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، دار الثقافة - لبنان، تحقیق د. إحسان عباس، دار الثقافة - لبنان.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، د.ت.

الرازي، فخر الدين (ت ۶۰۶ هـ): التفسیر الكبير والمسمی بمفاتيح الغیب، دار الفكر، ۱۹۹۰ م.

الزحيلي، وهبة: التفسیر الوسيط، دار الفكر المعاصر - بيروت، ۱۹۲۱ هـ - ۲۰۰۰ م.

الزركلي، خير الدين: الأعلام، الطبعة الثالثة، دن

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الکریم الرحمن في تفسير كلام المنان، مكتبة الأخيار، ۱۹۱۴ هـ - ۲۰۰۳ م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ۹۱۱ هـ): الدر المنثور في التفسیر بالمأثور، دار الکتب العلمیة، ۱۹۲۱ هـ - ۲۰۰۰ م.

الشعراوي، محمد متولي: قصص الأنبياء، د.ت.

الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، دار المعرفة - بيروت، د.ت.

شلبي، محمود: حياة أيوب، دار الجيل - بيروت، ٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
أبوشهبة، محمد: الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ط
الرابعة - ١٤٠٨ هـ.

شبية الحمد، عبد القادر: قصص الأنبياء القصص الحق، مكتبة المعارف - الرياض،
ط أولى - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٠ هـ
- ١٩٩٩ م

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٢١ هـ) شرح مشكل الآثار، مؤسسة
الرسالة الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م

ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي (ت ٨٨٠ هـ) اللباب في علوم الكتاب،
تحقيق عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف
الشريف، دار الفكر، ١٤١٤ هـ: ١٩٩٤ م. وأخرى من دار الحديث - القاهرة، ١٩٨٦ م.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن،
دار الفكر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

طنطاوي، محمد: القصة في القرآن الكريم، دار المعارف، ١٩٩٥ م.
ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس،
١٩٨٤ م.

عباس، فضل حسن: قصص القرآن الكريم، دار الفرقان - عمان، ١٤٢٠ هـ
- ٢٠٠٠ م.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله: أحكام القرآن
ابن عطية الأندلسي، محمد عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٦ هـ): المحرر الوجيز في
تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل المعروف بتفسير القاسمي، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط ثانية - ٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق د. عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، د.ت.
- القنوجي، صديق بن حسن: فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية - بيروت، ٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة - بيروت.
- ابن ماجة القزويني، أبو عبد الله محمد بن زيد: سنن ابن ماجة، دار ابن الهيثم، ط أولى - ٢٠٠٥م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (٤٥٠هـ): النكت والعيون والمعروف بتفسير الماوردي، دار الكتب العلمية، ط أولى - ١٩٩٢م.
- المجالي، محمد: الوجيز في علوم الكتاب العزيز، جمعية المحافظة القرآن الكريم - عمان، ط الثالثة - ٢٠٠٦م.
- المحامي، محمد كامل: صبر أيوب، المكتب العالمي للطباعة والنشر - بيروت، ١٩٧٩م.
- مصطفى، إبراهيم، وأحمد الزيات و وحامد عبد القادر و محمد النجار: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية - تركيا، د.ت.
- الموصللي، أحمد بن علي: مسند أبي يعلى الموصللي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، مؤسسة علوم القرآن، ٤٠٨هـ: ١٩٨٨م.
- النجار، عبد الوهاب: قصص الأنبياء، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة.
- النسفي، عبد الله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتب العلمية، ٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، دار ابن الهيثم، ط
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد: غرائب لقرآن ورغائب الفرقان، دار
الكتب العلمية - بيروت، تحقيق زكريا عميران، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
الهيثمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدس، د.ت.
الوكيل، محمد السيد: نظرات في أحسن القصص، دار القلم، ١٩٩٤ م.